د. سيد نوح - رحمه الله

قصة داعية

أعده وجمعه

الحسين موسى قاسم

نسخ وتوزيع

يهدى ولا يباع

د. سيد نوح

قصة داعية رباني

قدم له :

د. عبدالستار فتح الله سعيد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

د. طارق محمد السويدان

داعية إسلامي

راجعه

الشيخ سميح مبارك ضيف

إمام وخطيب

أعده وجمعه

الحسين موسى قاسم

مقدمة

غنية هي أمتنا الإسلامية بأبنائها النابهين المخلصين ، الذين أفنوا حياتهم جنوداً شجعان في معسكر جهادها ، لا يثنيهم عن تأدية الواجب شيء ، شاغلهم الأكبر إعلاء مكانتها ، واستكشاف وسائل نهضتها ، ومن هؤلاء علماؤها وحاملي مشاعل الإصلاح من دعاة الحق وورثة الأنبياء ، وعند رحيلهم عن دنيا الورى ، لا يشعر بغيابهم أحد ، لأن أعمالهم ، وعطاءاتهم ، ومآثرهم الممتدة كفيلة لأن تتجسد منارات للخلود ، ومن هؤلاء نحتسب عند الله - فضيلة الشيخ الدكتور / السيد محمد نوح - رائد حركة الدعوة والإصلاح ، والذي وافته المنية محتسباً صابراً ، بعد أن قضى حياته منافحاً عن قضايا أمته ليل نهار ، متبنياً رسالتها المقدسة التي امتدت طيلة عمره الدعوي المبارك ، وانطلاقا من حرص إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية على تحقيق غايتها في صناعة المناخ الثقافي الإسلامي ، المعني بتقديم النماذج المشرفة ، وتسليط الأضواء على المُثل العريقة من علماء الأمة ومصلحيها ، الذين حملوا أمانة التبليغ بالحكمة والموعظة الحسنة ، يسرها أن تهدي المكتبة الثقافية ، وجمهورها العريض هذا الإصدار الثقافي المتميز ، والذي حوى شهادات من بعض رجالات الأمة ورموزها الذين ارتبطوا ومسيرة الشيخ العامرة ، وعرفوا عن قرب جوانب شخصيته - الشيخ والإنسان - جمعت بعناية بعد أن سطرتها قلوب أصحابها ، حباً وعرفاناً بمآثر الفقيد ، وعزاؤنا الوحيد أن نبتهل إلى الله ، سائلين ، أن يفيض لأمتنا من تستعيد بهم مكانتها ، وما ذلك على الله بعزيز

إدارة الثقافة الإسلامية

تقديم الدكتور عبدالستار فتح الله سعيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين (أما بعد):

فرحم الله الأخ الحبيب اللبيب (السيد نوح)، وأجزل مثوبته في دار الخلود، وتلقاه بالمغفرة والرضوان، فقد عاش- بفضل الله- داعيةً رشيدًا، ومات صابرًا حميدًا، مرابطًا على ثغور الإسلام، لم يتبدل ولم يتلون، ولم تغره رايات الجاهليات المزخرفة، تشهد له بذلك أقواله وأعماله التي عاصرناها، وآثاره العلمية الجليلة التي بين أيدينا، نحسب كذلك والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحدًا.

إن العلماء ورثة الأنبياء عليهم السلام في علمهم النافع، وهديهم ونورهم، الذي بعثهم الله تعالى به، وعاشوا حياتهم يعملون به، ويدلُّون الناس عليه، ويدفعون الشبهات والأهواء عنه، فمن اقتدى بهم أخذ بأعظم حظ من النور والهدى، خاصة في هذا الزمان الذي غلب فيه الكفار، وخدعوا أمة الإسلام عن معالم الحق والهدى، الذي أوحاه الله عز وجل إلى رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنزل به كتابه الخاتم هُدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

إن معركة هائلة تدور في جنبات العالم الإسلامي بين الحق والباطل؛ بين الإسلام دين الله ومنهج لعباده، وبين أضاليل المذاهب والأفكار، في العقائد، والأخلاق، والقوانين، وسائر شئون الحياة!!

وكان المأمول شرعًا وواقعًا أن يقود العلماء أمتهم في هذه المعركة الضارية، وأن يكونوا في مقدمة الجماعات الإسلامية العاملة، وعلى رأس الكتائب الداعية المُجاهدة، كما كان الأنبياء عليهم السلام طوال التاريخ البشري المديد، وكما كان أصحابهم وأتباعهم في كُل العصور.

ولكن بعض العلماء رضوا بالحياة الدنيا، واطمأنوا إليها، ودنسوا العلم الشريف بمسالمة الأيام، ومداهنة الحكام، وجمع الحطام الحرام وبالتلاعب بأحكام الإسلام، وتضليل العوام، وهؤلاء وأمثالهم قد أوقعوا بالإسلام وأهله أسوأ مما فعل الأعداء الألداء!!

لذلك حذر الله تعالى من هؤلاء وأمثالهم في كل العصور، فقال- تعالى- في حكم صريح دافع: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ (آل عمران).

وآخرون من هؤلاء العلماء حفظوا المتون والشروح، وراحوا يقررون الأحكام بعيدًا عن الواقع، وبمعزل عن الحياة، وكأنها ذكرى تاريخية ماضية، غلبتها أمواج التطور البشري، فجعلتها- وجعلتهم معها- من آثار المتاحف، تشاهد (للفرجة) والتسلية، وليس للعمل والتنفيذ..!!

وقليل منهم كتب الله تعالى لهم الهداية والسعادة، وفتح لهم أبواب الفهم والرشد، فأخذوا الإسلام كما أراده الله تعالى: دين الشمول، ومنهاج الحياة، وحجة الله على عباده الممدودة إلى يوم القيامة، وحبل الله الممدود من السماء لإنقاذ البشرية العانية، وهداية الناس إلى صراط

الله العزيز الحميد.

لذلك عظّموا ميثاق الله الذي أخذه عليهم، وقاموا يبينونه للناس على وجهه الصريح الصحيح، فلا يكتمون حقائقه، ولا يغيرون أحكامه، ولا يشترون به هذه الأثمان الهزيلة، من المناصب الزائفة، والأموال الزائلة، التي فرح بها الأغرار، وضيعوا من أجلها الدين والدنيا جميعًا، وكانوا كمن قال الله تعالى فيهم:

﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (البقرة).

وهذه القلة الصابرة المجاهدة هُم أمل الأمم في كل العصور، وهم مصابيح الهدى الذين تنجو بهم أممهم من كل غبراء مظلمة؛ لأنهم ينيرون طريق الحق بأقوالهم وأعمالهم، ويقومون في الحياة قدوةً عمليةً للخير والبر والإيمان، أسوة بخاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم الذي قال الله تعالى فيه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ (الأحزاب).

لذلك يكونون رحمة مهداة في حياتهم، ويكون فقدهم حدثًا جللاً، ومصابًا بالغًا، لذهاب العلم النافع بذهابهم، وغياب القدوة الصالحة من حياة الناس بموتهم.

تحت راية القُرآن والإسلام:

ولقد مَنّ الله- تعالى- على الأخ الحبيب الراحل فوضعه من أول الطريق تحت لواء الحق الإلهي، وسلك به طريق الدعاة العاملين لدعوته ودينه، ووفقه توفيقًا إلى خير غاية في الاعتقاد والمنهج، وإلى خير وسيلة في

العمل والحركة الإسلامية، وتربية الأفراد والجماعات، وتزكية الفضائل والأخلاق، وتنقية الطريق من الآفات والمُعوقات، والصدع بالحق المُر في كُل الأحوال والأزمات، وبيان المنهج النبوي العملي في بناء الفرد والمُجتمع، وغير ذلك كثير، ولا نزكي على الله أحدًا..

إننا هُنا لا نشتعل برثاء الأخ الراحل، أو نعيه كنعي الجاهلية، وإنما نحن بصدد إبراز القدوة للناشئة من العلماء والدُعاة والتركيز على الصفات التي أوجبها الله تعالى على أهل العلم والعلماء، وضرورة أن يكونوا عاملين مجاهدين مثابرين ليخرجوا هذه الأمة الشريفة من رقدة العدم، أو من وهدة الفتن التي منيت بها في القرون الأخيرة، وعن الميثاق الغليظ الذي أخذه الله عليهم، ولا يكونون إلا خير أمة أُخرجت للناس!!

لقد خلق الله- تعالى- الناس أنواعًا متنوعةً، وجعل لكل منهم معالم تحدد الشخصية، وتفسر سلوكها واتجاهها، وهي بدورها متفاوتة قد تقل أو تكثر، وقد تكون كلية أو جزئية.

وقد تبدّت لي من معالم شخصية الشيخ- رحمه الله- صفتان أساسيتان جامعتان، تفسران حياته وسلوكه:

الأولى: العبودية الصادقة لله رب العالمين

فالناس جميعًا عبيد الله عز وجل بالاضطرار أو بالاختيار، والسعيد منهم من يسيطر عليه شعور غامر بهذه العبودية لربه ومولاه، في صحوه ومنامه، وحركته وسكونه، ومحياه ومماته، ودنياه وآخرته، وفي

كل شأنه، وهذا مقام أسمى يرفع خسيسة التراب والطين، حين يلوذ بربه ومولاه، ويدخل إليه من باب الافتقار التام إلى فضله وعطائه، فيكون عبدًا ربانيًا، يمشي على الأرض هونًا إجلالاً لربه ومولاه ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾(الفرقان).

ويمشي بين الناس عزيزًا بربه ومولاه: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (المنافقون)، وهذا يفسر لنا تواضع الشيخ- رحمه الله- الدائب، ودماثة خلقه، وإيثاره رضا الله- عز وجل- على كل ما عداه، واعتزازه بدعوته ودينه؛ وبذله النفس، والوقت، والجهد، على هذا الطريق الذي ارتضاه ربه ومولاه، ولذلك أوقف عليه قوله وفعله، وقلمه ولسانه، وخطبه ومحاضراته، وأحاديثه وندواته، ولا نزكي على الله أحدًا، وهو وحده العليم بذات الصدور، وخلجات النفوس والقلوب.

الثانية: الجندية الحاضرة

فمن كان صادق العبودية توثب بالحركة والنشاط في سبيل مرضاة ربه ومولاه، ولا يكون أبدًا عبدًا خاملاً كسولاً، وإنما يصبح جاهزًا لكل نداء، حاضرًا عند كُل دعوة، مُلبيًا لكُل إشارة، مُسارعًا للخيرات، مسابقًا في الطيبات، وعلى قلبه ولسانه دائمًا مثل قول الكليم- عليه السلام- ﴿ وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾ (طه)، ولذلك وصف الله تعالى هذا النوع من عباده بقوله الكريم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ

﴿٦١﴾ (المؤمنون)، ولا ندعي لأحد العصمة من الذنوب والأخطاء، إلا من عصمهم الله من الأنبياء والمرسلين- عليهم السلام-، وكُل البشر غيرهم يُخطئ ويصيب، ولذلك قص القُرآن علينا دُعاء المجاهدين وهُم في غمار المعارك ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ (آل عمران)، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (الحشر).

ومن هُنا تشابهت صفات المؤمنين الصادقين في العمل الصالح، والاجتهاد الدائم، والاستقامة على الطريق، وعلوّ الهمة، وتجنب الدنايا، والإسراع بالتوبة والأوبة كلما مسهم طائف من الشيطان أو غفلة من الإنسان!!

وآثار مثمرة باهرة،

ولذلك يترك هؤلاء وراءهم آثارًا صالحةً، تنفع الأحياء والأشياء، وتفيد القريب والبعيد، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، أو تكون كما قال- تعالى- ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ۖ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ ﴾(البقرة).

وللتذكرة والعبرة نتذكر كيف قضى الشيخ- رحمه الله تعالى- سنوات من عمره، وكم أنفق من أيام وساعات طويلة، يكتب (المبسوطة) السهلة المُيسرة، (آفات على الطريق)؟!

وبذلك قدم الشيخ- رحمه الله- نسخة عصرية ميسرة لما بدأه الأئمة من قبل، كالإمام الغزالي في كتابه الفريد (إحياء علوم الدين)، ولقد

كانت الدعوة الإسلامية المعاصرة، والحركة المباركة التي تفجرت من نورها، هدفًا مباشرًا لا يغيب عن قلب الشيخ- رحمه الله- ولا عن قلمه، وهو يكتب هذه الصفحات التي جاوزت الألف بكثير، ويدعمها بأدلتها من الكتاب والسنة المطهرة، ويُخرج الأحاديث الشريفة؛ ويبين درجتها، تفاديًا لما أصاب (إحياء علوم الدين) من قبل حين تسللت إليه الأحاديث الموضوعة!!

ثُم في كل موطن يُركز الشيخ على بيان آثار هذه (الآفة) على العاملين للإسلام، المندمجين في الحركات الإسلامية المعاصرة، ويردف ببيان آثارها على العمل الإسلامي، والدعوة ذاتها.

إنه علم وعمل، ودين للحياة والواقع، وليس إغراقًا في ضروب التخصص التقليدي المعزول عن الحياة، بل هو استدعاء لأعظم أدلة الدين من الكتاب والسنة، لتكون في يد الدعاة وهم يخوضون الملحمة العُظمى لإقامة الإسلام مرة أخرى في أرض الله عز وجل، وإعادة الاعتبار للأمة الإسلامية لتكون حاملة الرسالة الإلهية من إيمانٍ واقتدار، فالمدافعة عن معالم الإسلام في وجه أعداء الله من أهل الإلحاد والاستبداد!!

لقد كتب الشيخ- رحمه الله- عن ست وأربعين آفة مُدمرة، نصح فيها لإخوانه غاية النُصح، وأفاض في كل منها بالبيان والتحذير، وسوق الأدلة، وأقوال الأئمة والصالحين الناصحين، وقصص العابدين الصادقين.

ومما يدل على توفيقه في الاختيار، ودقته في النصيحة، أنه بدأها

جميعًا بآفة: (الفتور) في الدين عامة، وفي الدعوة إلى الله خاصة، وهذه آفة مُدمرة ينبغي على الأفراد والجماعات الانتباه لخطرها؛ لأنها تتسلل إلى القلوب في خفاء، وتتزايد في صمت، ثم تتفاقم وتندلع فتبتلع الفرد، وتربك الجماعات، وتشيع بينها الوهن والتراخي، وتنتهي بالجميع إلى سوء مصير والعياذ بالله تعالى.

وقد رأيت آثارها المدمرة في صفوف العاملين للإسلام، ونشرت لذلك كتابًا عنوانه: (آن الأوان لتجديد الإيمان)؛ وهو نصيحة في نفس الباب، سبق إليها الهدى القُرآني حين استبطأ الله- عز وجل- قلوب المؤمنين في أول الهجرة، فاستحثهم وحضهم بقوله الكريم: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (الحديد).

وهكذا يتحول العلم من نصوص جامدة إلى قوة مُحركة، ومن تناول تقليدي تجتَره الأجيال، إلى حياة نابضة بالأمل والعمل، مفعمة بالتجديد المفيد والتغيير النافع لإقامة الإسلام الشامل.

وعلى هذا النمط كان الشيخ السيد نوح- رحمه الله تعالى- في كُل آثاره فكان يراعي جانب العلم وقواعده، وأصوله وضوابطه، ثم يُوجهه إلى غايته العليا في الدعوة والتربية، والتعليم والتزكية، لذلك اجتهد في إخراج كُتب وبحوث نادرة، ذات موضوعات غاية في الأهمية، لخدمة الإسلام، وتأصيل الدعوة؛ وتحديد مناهج العمل الإسلامي بمفاهيمه الشاملة كما قررتها نصوص القُرآن، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم،

وأعمال الخلفاء الراشدين المهديين- رضي الله عنهم- أجمعين.

وقد قال الشيخ السيد نوح- رحمه الله-: "وإذا كانت الأُمة الإسلامية اليوم تُحاول الخروج من المأزق الذي تعيشه وتُعاني منه، فإن عليها أن تعود إلى سيرة وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لتقف على أبعاد ومعالم هذا المنهج الذي اتبعه الرسول الكريم في غرس روح الجهاد في نفوس أصحابه أول مرة" ص٩، ومضى الشيخ- رحمه الله تعالى- يتتبع ذلك في السيرة النبوية الجليلة، وفي الأحاديث الشريفة، وفي آيات القُرآن المجيد، وأسباب النزول في استيعابٍ وشمولٍ دقيق لجوانب الجهاد وأنواعه، وارتباطه بالإيمان".

جزى الله الشيخ خير الجزاء، وألحقنا به في الصالحين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. عبد الستار فتح الله

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر الشريف سابقًا

تقديم الدكتور طارق محمد السويدان

الحمد لله رافع الذين أوتوا العلم درجات، جاعل العلم سبيلاً للهدى والمسرات، والصلاة والسلام على نبيه المبعوث بالحجة والبرهان، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، وبعد:

يقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من صدور الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء) فكلما مات عالم عامل وداعية صادق أحس الناس لموته حسرة شديدة وحزناً عميقاً، وكل يوم يموت الآلاف من الناس ولا يعلم بهم أو يحزن عليهم سوى أشد أهلهم قرابة لهم والتصاقاً بهم، وليس هذا تقليلاً من شأن أحد- بل لعل بعض خاملي الذكر أقرب وأحب الى الله من كثير ممن اشتهر وانتشر- لكن العالم الصادق يتعدى نفعه لغيره، وتحيا به قلوب كثيرة، وينهل منه جميع من حوله، فترى لموته أثراً ولفقده ألماً، ولذلك لما توفي الشافعي رحمه الله تعالى حزن أحمد بن حنبل لموته حزناً شديداً، فسأله ابنه عبدالله عن سبب هذا الحزن؟ فقال: يا بني، كان الشافعي كالشمس للدنيا والعافية للناس، فهل ترى لهذين من بدل أو عنهما من عوض؟!!

ولقد كان الشيخ الدكتور سيد نوح رحمه الله تعالى أحد هؤلاء العلماء العاملين، والدعاة المربين، والناصحين الصادقين، كان يجمع ولا يفرّق، ويشجع ولا يخذل، ويصلح ولا يهدم، ويحبب ولا ينفّر، لم يكد يختلف على حبه أحد، ولم يكن يدعو لحزب أو ثلة أو جماعة دون أخرى، ولذلك

احترمه الجميع وأحبوه، ووثق به العامة وأخذوا عنه، وظهر هذا جلياً في جنازته رحمه الله حيث اجتماع الناس بمختلف اتجاهاتهم وجنسياتهم وأطيافهم واكتظت المقبرة بهم، وتوافد الناس من أرجاء الكويت كلها، وصدق الإمام أحمد حين قال: قولوا لأصحاب البدع بيننا وبينكم الجنائز.

كان رحمه الله تعالى لا يألو جهداً أو وقتاً أو موقفاً إلا ويفيد فيه ومنه، كان صاحب رسالة ودعوة، وصاحب الرسالة لا يعرف الكلل ولا الملل ولا الراحة، ومع هذا كان مبتسماً لطيفاً، كان مبجلاً لكن التواضع لم يكن ليفارقه، عالماً متبحراً لكن أسلوبه بسيط قريب من النفس لا يعلو بخطابه عن فهم العامة وإدراكهم.

وقد تعلمت منه فن الابتسامة في جميع دروسي وخطبي وبرامجي، حيث كان بساماً رحمه الله تعالى، لا تكاد تفارقه ابتسامته في حديث خاص أو عام، وكان لهذه الابتسامة أثر عظيم في قلب جميع من صحب الشيخ أو أخذ عنه.

ولعل هذا الكتاب الذي جمعه وألفه الإخوة الأفاضل عن حياة الشيخ رحمه الله تعالى يكون جزءاً من الوفاء له بعد موته، اعترافاً منا ومن كل من استفاد من الشيخ بأنه زرع فحصد وآتت ثماره أكلها، وتعب فكان لتعبه ثمرة في الدنيا ونرجو أن يكون له رفعة في الأخرة.

كما آمل من خلال هذا الكتاب أن يكون باعثاً لجميع العلماء وطلبة العلم أن يكون لهم في الشيخ رحمه الله قدوة حسنة، ولهم فيه مثال للعالم العامل الجاد المخلص المتفاني، فيقوموا برسالتهم حق القيام، ويعطوها

كلهم وكل ما يملكون ولا يتصدقون عليها بفضول أوقاتهم، أو يسيروا بها في غير الاتجاه الذي يجعلهم أعزة كراماً نافعين منتجين متقنين، وما أجمل ما قاله القاضي الجرجاني في هذا:

ولم أقض حق العلم إن كنت كلما
بدا مطمع صيرتُه لي سُلما
وما زلت منحازاً بعرضي جانباً
عن الذل أعتد الصيانة مغنما
إذا قيل: هذا منهل قلت: قد أرى
ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي
لأخدم من لاقيت لكن لأُخدما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلة
إذاً فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفوس لعظما

رحم الله الشيخ الدكتور سيد نوح رحمة واسعة، وجعله يتقلب في نعيم الآخرة وفي رضوانه كما تقلب في قلوب الناس وأفئدتهم في الدنيا.

وجزى الله الإخوة القائمين على هذا الكتاب خير الجزاء وجعله في ميزان حسناتهم وسجل وفائهم.

د. طارق محمد السويدان

هذا الرجل:

١) سلام عليك معيناً لأصحاب الحاجات ومساعدا للمحتاجين المكلومين فأنت بحق باق في ذكراك ومآثرك .....

د. توفيق الواعي

٢) كان رحمه الله عالماً عاملاً حريصاً على الخير.....

د. عبدالرحمن عبدالخالق

٣) لقد صحبتك في الدنيا صحبة أطال الله عمرها بحساب السنين والأيام.....د. يحيى إسماعيل

٤) والشيخ رحمه الله عرف بصفحه قلما يتصف بها أحد وهي أنه نذر نفسه لقضاء حوائج الناس.....

د. جاسم المهلهل الياسين

٥) قام بتربية أولادي حتى صاروا دعاة .....

الشيخ أحمد القطان

٦) كان رحمه الله تعالى قدوه صالحة لطلبة العلم ومعلماً ربانياً.....

أ.د. محمد الطبطبائي

٧) هذا الرجل من شيمه أن يشهد الحق ويسعى في مصالح الناس.....د. أبو اليزيد العجمي.

٨) لقد كان يرحمه الله سريع الدمعة، غزير العبره شديد التأثر بكتاب الله تعالى.....الشيخ عبدالحميد البلالي.

٩)كان نعم الأخ والأب والمعلم والقدوة والشيخ والمربي والموجه والداعية وال مؤدب.....د. طارق الطواري (أ. بكلية الشريعة)

١٠) لقد أحببت هذا الشيخ لما له من أسلوب دعوي جذاب..... د. عبدالله سليمان العتيقي.

١١)هو ذلك الرجل الذي كان يخلع عمامته الجميلة لتكون حصالة خير من أجل الأقصى وفلسطين.....الشيخ رياض عمشة

١٢) مصلح البيوت والمجتمعات كل شيء يبكيك.....د. سمير يونس

١٣) كم هو مؤلم غياب العالم الميداني في عالم الدعوة لكنها سنة الحياة.....أ. عبدالله عثمان الحيدر

١٤) الشيخ رحمه الله كان له جمهور كبير لصلاة الجمعة بمسجد الوزان وكان متميزاً في خطبه.....خالد العقيل (مراقب شئون العاملين بمساجد حولي)

١٥) هذا الرجل يعتبر من أعلام المسلمين الذين أثروا الحياة بأعمال الخير.....السيد عبدالرحيم شلبي (السفير المصري سابقاً)

١٦) لم تقتصر دعوة الشيخ على المساجد والمنتديات والجامعات والمخيمات بل وصلت إلى بيوت الأهالي.....السيد هاشم الرفاعي.

الفصل الأول

- مولده ونشأته
- صفاته الإنسانية
- صفات التكوين العلمي
- آثاره العلمية
- جهوده الدعوية
- القضية الفلسطينية في حياته

المولد والنشأة(١)

ولد السيد محمد السيد نوح في عزبة السباعي الشهيرة بـ"عزبة غانم" التابعة لقرية الكوم الطويل في مركز بيلا بمحافظة كفر الشيخ في جمهورية مصر العربية في ٢٣ جمادى الأولى ١٣٦٥هـ الموافق ٢٤ أبريل ١٩٤٦م لأسرة ريفية فقيرة؛ الأب فيها يعمل بالزراعة، وله عشرة إخوة: خمسة أشقاء، وخمسة غير أشقاء؛ حيث تزوج أبوه محمد السيد نوح من ثلاث نسوة، وكان فقيدنا أكبر إخوته سنًا؛ حيث تزوج من أخت الشيخ زين العشري أحد زملائه الذين كان يحبهم ويتأثر بهم، وأقام في المحلة الكبرى بمحافظة الغربية، وأنجب عشرة من الأولاد: تسعة ذكور، وبنتًا واحدةً.

أتم حفظ القرآن الكريم وهو ابن ثمانية أعوام، ثم انتقل إلى المعهد الأزهري الابتدائي بكفر الشيخ، ثم إلى معهد المحلة الأزهري الثانوي ليحقّق في الثانوية الأزهرية ترتيب الأول على محافظته والثالث على الجمهورية، ثم تخرَّج في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالقاهرة، وتدرج حتى حصل على العالمية "الدكتوراه" عام ١٩٧٦م.

---

(١) بقلم/ وصفي عاشور أبوزيد

وقد حمل سيد نوح هموم أسرته الفقيرة منذ الصغر، فكان يشارك في إعالتها عبر المكافآت (٤٥ جنيهًا مصريًا) التي كان يتقاضاها من الأزهر بحكم تفوقه الدراسي حتى كان هدفه من حصوله على الماجستير والدكتوراه- إلى جانب تحصيل العلم- تحسين حاله وحال أسرته الاقتصادي.

تأثر في المرحلة الثانوية تأثرًا كبيرًا بالشيخ إبراهيم خميس، ثم بالشيخ عبد الفتاح سلطان، وهيَّأ له القَدَر في مرحلة الدكتوراه أن يقرأ كتاب: "العبادة في الإسلام" للشيخ يوسف القرضاوي الذي أثَّر فيه تأثيرًا كبيرًا، وأدرك من خلاله سر وجوده ومهمته في الحياة.

بعد تعيينه بعامَين مدرِّسًا بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالقاهرة، استقدمه الشيخ رءوف شلبي وكيلاً لأصول الدين في المنصورة لمساعدته في تنفيذ برنامجه التربوي هناك، وشجَّعه الشيخ العدوي على ذلك، ثم انتُدب أستاذًا زائرًا في كلية الشريعة بدولة قطر عام ١٩٨١م؛ حيث كان عميدها في ذلك الوقت الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، ثم انتقل إلى الإمارات عام ١٩٨٢م، ومكث فيها حتى عام ١٩٩٣م، وهو العام الذي انتقل فيه إلى كلية الشريعة بجامعة الكويت أستاذًا للحديث وعلومه إلى أن وافته المنية.

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ خرج من مصر عام ١٩٩٣م لظروف

خاصة، وظل حتى عام ٢٠٠٣م بعيدًا عن أمه إلى أن استقدمها في العام نفسه إلى الكويت، وذهب معها إلى الأراضي المقدسة ليقضيَ معها فريضة الحج، ولم ينزل مصر إلا مريضًا في عام ٢٠٠٥م في مستشفى دار الفؤاد بمدينة ٦ أكتوبر بالقاهرة.

صفاته الإنسانية والخلقية

تمتع الشيخ بمجموعةٍ من الصفات أجمع عليها كل من عرفه، حتى إن من اقترب منه وتعامل معه لا يملك إلا أن يتمثَّل ما جاء في الحديث الذي رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانًا فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض" .

وأحسب أن الشيخ قد وُضِع له القبول في الأرض بما آتاه الله من صفات كريمة وخلال حميدة، ومن أهم هذه الصفات:

الإخلاص: ومع أن الإخلاص سرٌّ بين العبد وربه؛ لا يستطيع أحد أن يقطع به، فإن له آثارًا وشواهدَ تدل عليه، وأعمالاً ومظاهر تقود إليه؛ منها أن كلامه كان يمس شغاف القلوب بالرغم من أنه كلام يقوله غيره لكن لا يكون له مثل هذا الأثر، ومنها مشهده في الصلاة الذي كان يزيد من رآه إيمانًا، وكان كثير البكاء كما سبق القول.

وكان من أهل الليل، ومن أهل القرآن؛ حيث كان حريصًا على وِرْد القراءة ووِرْد المراجعة، فكان وِرْده اليومي ستة أجزاء التزم بها حتى في أيام مرضه، أما في رمضان فقد كان له مع

القرآن شأن آخر؛ حيث كان التهجد عنده يبدأ من أول رمضان، وله في رمضان ثلاث ختمات: الختمة الأولى في العشرين الأوائل، والختمة الثانية في العشر الأواخر، والختمة الثالثة في صلواته فرائض ونوافل أثناء نهار رمضان وليله، هذا في الصلوات، أما في ورد القراءة اليومي فقد كان يختم القرآن كل ثلاثة أيام من أيام رمضان.

حتى رأيت قول الإمام الشاطبي متحققًا فيه أكمل ما يكون التحقق، من أن القرآن الكريم: "كليةُ الشريعة، وعمدةُ الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاةَ بغيره، ولا تَمَسُّكَ بشيء يخالفه.

وإذا كان كذلك لَزِمَ ضرورةً لمن رامَ الاطلاعَ على كليات الشريعة، وطَمِعَ في إدراك مقاصدها واللحاقِ بأهلها أن يتخذَه سميرَه وأنيسَه، وأن يجعلَه جليسَه على مرِّ الأيام والليالي؛ نظرًا وعملاً، لا اقتصارًا على أحدهما، فيوشك أن يفوزَ بالبُغْيَة، ويظفرَ بالطِّلْبَة، ويجدَ نفسه من السابقين وفي الرعيل الأول" (الموافقات: ٤/٣٤٦، طبعة دار الفكر العربي).

ومنها التواضع: فكان تواضعه لا يصدر عن تكلُّف أو تصنُّع أو مجاملة، بل كان إخلاصاً حقيقيًا غير مشوب بما يكدِّر صدقه وصفاءه.

وقد قادته هذه الصفة إلى صفة إنكار الذات؛ فكان لا يرى لنفسه حقًا عند أحد، ولا يرى ذاته ولا عمله في أي مقام، بل كان يشعر مع نفسه، ويُشعر غيره بالتقصير في جنب الله وفي حق الإسلام ودعوته، حتى إنه كان يعتذر مبكرًا للمتحدثين معه إذا ظهر خلافٌ في معرض الأحاديث الخاصة حتى لو لم يكن مخطئًا؛ إنجازًا للمهام، وحرصًا على الوقت، وتنازلاً عن حق نفسه، وسدًا لباب الجدل والمِرَاء الذي لا يأتي بخير، كما كان يعتذر عن إخوانه ويتنازل عن حظه من أجلهم، ويعطي من حقه لحقوقهم؛ إيثارًا وحبًا، وبغيةً في ثواب الله.

كان رحمه الله تعالى جميل الأدب، في مأكله ومشربه وملبسه وما يخصه في أحوال نفسه، منبسطاً مع إخوانه حتى إنه كان يداعبهم ويمازحهم ويتودد إليهم.

- كان شديد التواضع لأصحابه وزواره وطلابه، دون أن يتعالى بمكانته وعلمه، فكان رحمه الله يُدعى إلى الدعوة فيمضي إليها وهو في غاية الفرح والسرور.

- وكان رحمه الله لا يحمل حقداً ولا ضغينةً على أحد وله نفس رضية يتجاوز عمن أخطأ معه ويعفو عمن أساء إليه.

- مع كل هذه السمات من سماحة النفس والعفو والصفح كان رحمه الله ثابت الجنان، شجاع القلب، جريئاً في إعلان الحق.

- ومن شمائله رحمه الله التي امتاز بها سعة علمه فكان كثير

التواضع للناس، فلا يترفع عليهم ولا يحب التميز عنهم، وينزل إلى مستوى جليسه في الحديث والمكان والتعليم وكان يُصغي إلى من يتحدث إليه لعله يستفيد منه، ولا يستصغر أحداً حتى يستمع إليه وكان أول من يمد يده إذا صافحه أحد ومن المشهود له رحمه الله كان يصافح الكبار والصغار وعلى وجهه ابتسامته المتواضعة.

- ومما يدل على ورعه رحمه الله، كان له درس أسبوعي بضاحية السلام ق٢ في بيت الرفاعي للنساء وكان دائماً يحرص على صلاة العشاء بالمسجد المجاور «.... السالم» فكان إذا دخل المسجد لا يتقدم للصلاة إجلالاً واحتراماً وتواضعاً لإمام المسجد.

- وكان رحمه الله يعترف بالفضل لأهله، وينسب الخير لصاحبه، لأنه لا يعرف الفضل لذوية إلا أهل الفضل، وكان يرحمه الله دائماً يثني على مشايخه وأساتذته ويجل تلاميذه ويحترمهم وينسب الفضل إليهم دون أن يدفعه احترام العلماء والمشايخ والدعاه إلى المجاملة في الحق فالحق أحق أن يتبع.

ومن الصفات الإنسانية التي تميَّز بها الشيخ الدكتور نوح: السماحة والحلم، فكان سمحًا مع كل الناس، حليمًا عليهم، بالرغم من غلظة بعضهم وجلافة بعض آخر، ومع علمه

بحقيقة كل من يعامله كان يبادل المسيء إحسانًا، والمحسن إحسانًا مضاعفًا، حتى أحبه غير المسلمين.

ولعل أبرز الصفات التي تمتع بها أنه كان دائمًا في حاجة الناس، وكان موئل الناس في قضاء حوائجهم ومصالحهم، كما كان نشطًا في الجانب الاجتماعي؛ فلا يقصر في حق من الحقوق الاجتماعية العامة، ولا الحقوق الاجتماعية الخاصة، فضلاً عن علاقاته الاجتماعية مع رفاق دربه.

كل هذه صفات وغيرها تحتاج إلى سرد مواقف للتدليل عليها بما يضيق المقام عنه هنا، وهي مواقف كثيرة ومتنوعة شهد بها الموالي والمعادي، والمسلم وغير المسلم.

صفات التكوين العلمي

العلماء الربانيون هم الذين يجمعون بين العلم والعمل والتعليم، فلا يبلغ العالم أن يكون ربانيًا إلا إذا تعلَّم ما يجهل، ويَعْمل بما عَلِم، ويُعَلِّم ما يَعْلم.

وأحسب أن الشيخ سيد نوح جمع بين العلم والعمل والتعليم؛ فهو عالم أزهري متمكن، لا سيما في مجال السنة وعلوم الحديث كما سيأتي، عامل بما علم؛ فكان صوَّامًا قوَّامًا ذاكرًا لله تعالى، وكانت له دروسه التعليمية لكل الفئات: للعمال، ولطلبة العلم، وللمتخصصين في العلم الشرعي، كما كان العلم رحمًا موصولةً بينه وبين إخوانه من الدعاة والعلماء.

ومن صفات التكوين عنده أنه جمع بين الدعوة والتأصيل الشرعي، ولِمَ لا، وهو العالم المتضلع من السنة وعلومها، الماهر بالقرآن حفظًا وتلاوةً واستحضارًا واستشهادًا؟! وبعض الدعاة ينطلقون على غير بصيرة، لا سيما ونحن في عصر الفضائيات والدعاة الجدد، وكثيرٌ من الشرعيين لا يتحرَّكون بعلمهم ولا يكون لهم نصيب في الدعوة والحركة بهذا العلم، ومن هنا نقول: إننا نعاني في الواقع العملي الفقهي والدعوي معًا من وجود فجوة ليست صغيرةً بين الفقيه وساحة الدعوة، وبين

الداعية ومجال الفقه؛ فقلما تجد داعيةً يملك عقل الفقيه، أو فقيهًا يحمل روح الداعية.

إنما الفقيه معزول عن الواقع والحياة، والداعية بعيد عن محراب العلم الشرعي الرصين، في حين أنه لا تنافرَ بينهما في التصور الشرعي، بل كلاهما يستدعي الآخر ويستوجبه؛ فلن يجدد الدين في عقول الأمة إلا فقهاء يحملون أرواح الدعاة، ودعاة يملكون عقول الفقهاء، وقد جمع الشيخ سيد نوح هذه المعادلة المهمة، ووفقه الله فيها إلى حد بعيد.

ومن صفات وآثار تكوينه العلمي السليم أنه يقوم بتوصيل المعاني الكبيرة بأسلوب ميسور يفهمه الجميع؛ فكثير من الناس يتحدث بأسلوبٍ لا يفهمه إلا الخاصة، فضلاً عمن يتقعرون في أحاديثهم ويأتون بالغريب الوحشي من الألفاظ، أما التعبير عن المعاني الكبيرة والمفاهيم الصعبة بأسلوب ميسور يفهمه العالم والجاهل، فهذه ميزة لا يقدر عليها إلا أولو العزم من أهل العلم والدعوة، وقد استطاع الدكتور نوح أن يمزج بين العلم الرصين وإيصاله إلى الناس بشكل يتلاءم معهم؛ فالتقعر والإيغال في غريب الألفاظ ربما عبَّر عن نقص علمي فيمن يتحدثون به للإيهام بأنهم علماء متخصصون متمكنون من تخصصهم، وهم في الحقيقة فراغ وخواء من هذا التخصص؛ يستخدمون هذه الغرائب ليواروا بها السوءات والعورات.

وكنت إذا سمعت الشيخ نوح يتحدث في درس عام شارحًا لحديث أو مستعرضًا لقصة ظننت أن هذا الرجل داعية جماهيري؛ يحسن الحشد والتأثير على المشاعر، ولا علاقة له بالأكاديميات، لكن حين تسمعه بين العلماء في مناقشة رسالة علمية أو في مجلس لأهل العلم فهو العالم المتمكن الرصين المقدَّم، الذي غاص في بحار العلم وعايش بطون الكتب حتى استخرج كنوزها ولآلئها، ودلَّ على المعلومة في الكتب التراثية برقم الجزء، وأحيانًا برقم الصفحة.

ومن الأمور المنهجية التي تمتع بها عالمنا أنه تميَّز بالوضوح في العرض والترتيب في الأفكار، وهو منهج تسمعه في حديثه كما تقرؤه في كتبه سواء بسواء؛ ففي خطبه ودروسه كان يقسِّم خطبته أو محاضرته إلى عناصر وأفكار يتلوها غالبًا على مسامع الناس في بداية حديثه حتى يكون لدى الناس تصور واضح، ولا يخفى ما لهذا الأسلوب من تأثير على يقظة المتلقي وانتباهه، وحمله على متابعة الحديث عنصرًا بعنصرٍ وفكرةً بفكرةٍ.

آثاره العلمية

أعني بالآثار العلمية هنا ما كتبه الشيخ سيد نوح في مجال علوم السنة والحديث والفكر الإسلامي، وهذا الجانب غير ظاهر وغير معروف عن الشيخ؛ فقد عرف بالدعوة والتربية أكثر من الصنعة الحديثية، مع أن جهوده العلمية ومؤلفاته في علوم السنة أكثر مما كتبه في الدعوة والتربية، وفيما يلي بيان بأهم آثاره التأليفية في هذه المجالات:

أولاً: في مجال الحديث والسنة

فقد بدأ تخصصه في الماجستير والدكتوراه عن علوم السنة والحديث، فتناول في الماجستير موضوع: "زواج النبي بزينب بنت جحش ورد المطاعن التي أثيرت حوله في ضوء المنهج النقدي عند المحدثين" من جامعة الأزهر عام ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م، وفي الدكتوراه تناول موضوع: "الحافظ أبو الحجاج يوسف المزي وجهوده في كتابه تهذيب الكمال" من جامعة الأزهر أيضًا عام ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م، وقد كان له السبق في الكشف عن الحافظ المزي والتنويه بكتابه تهذيب الكمال.

ثم كانت له أبحاث محكمة نَشرت معظمَها مجلةُ الشريعة والدراسات الإسلامية التي تصدر في الكويت، ثم نشرها بعد ذلك في كتب مستقلة.

ومن هذه الأبحاث: "علم الطبقات.. حقيقته وقيمته العلمية والحضارية"؛ تناول فيه تاريخ علم الطبقات، وبيَّن فوائده وثمراته ومنهج العلماء في تحديد الطبقات مع التمثيل لذلك.

ومنها كتاباه- شاركه فيهما الدكتور عبد الرزاق الشايجي الأستاذ بكلية الشريعة بالكويت-: "الصحابة وجهودهم في خدمة الحديث النبوي"، وكتاب: "التابعون وجهودهم في خدمة الحديث النبوي"، بيَّنا فيهما جهود الصحابة والتابعين في خدمة السنة تحمُّلاً وأداءً، وذَكَرَا أن جهود التابعين في حاجةٍ إلى الدراسة والاهتمام في هذا المجال.

ومنها كتابه- بالمشاركة أيضًا- بعنوان: "مناهج المحدثين في رواية الحديث بالمعنى"؛ أورد فيه مذهب المجوِّزين روايةَ الحديث بالمعنى مع ذكر ضوابطهم وأدلتهم، كما أورد مذهب المانعين لهذا الأمر مع بيان مسوغاتهم وأدلتهم، ورجَّح مذهب المجوِّزين لقوة الأدلة نقلاً ونظرًا مع اعتبار شروط ذلك.

ومن كتبه في الصنعة الحديثية كتابه: "درء تعارض أحاديث كراء الأرض"؛ أورد فيه الأحاديث التي تبيح كراء الأرض، والأحاديث التي تحظره، ودرأ التعارض بينها على طريقة الأصوليين المحدثين.

ثانيًا: في مجال الفكر الإسلامي:

أما في مجال الفكر الإسلامي فأبرزُ ما كتب الشيخ- رحمه

الله- في هذا المجال ثلاثة كتب: الأول: "منهج أهل السنة والجماعة في قضية التغيير"؛ حيث تناول هذه القضية من بُعد دعوي وتربوي؛ فتعرَّض فيه لمفهوم أهل السنة والجماعة وماهية الدعوة والتربية، وبيَّن الحاجة للدعوة والتربية في نظر أهل السنة والجماعة، وأهداف أهل السنة والجماعة من الدعوة والتربية، ومن أهم ما بيَّنه في هذا الكتاب أنه قرر قواعد ومنطلقات للدعوة والتغيير والتربية من وجهة نظر أهل السنة والجماعة.

والكتاب الثاني بعنوان: "حاجة البشرية إلى الحكم بما أنزل الله كتابًا وسنةً"؛ شخَّص فيه واقع الأمة المسلمة، وبيَّن الأسباب التي انتهت بهم إلى هذا الواقع، ورسم معالم طريق الخلاص مما تعاني منه البشرية اليوم من خلال الحكم بما أنزل الله.

أما الكتاب الثالث فجاء تحت عنوان: "دوافع عناية المسلمين بالقرآن الكريم"؛ ذكر فيه أحد عشر سببًا دفع المسلمين إلى الرعاية والاهتمام بالقرآن الكريم؛ يذكر الدافع ثم يستشهد له من القرآن نفسه، ومن الأحاديث والآثار، ومن تاريخ الأمة إذا لزم الأمر.

ثالثًا: في مجال الدعوة والتربية:

وهذا هو مجاله الأشهر وميدانه الأرحب الذي عُرف به واشتهر عنه؛ فالدكتور السيد نوح هو صاحب المصنف الشهير "آفات

على الطريق"، و"توجيهات نبوية على الطريق"، وفي هذين الكتابين يقدُم نموذجًا علميًا تربويًا خلقيًا شهد بتميزه المتخصصون في الشرع كما شهد له المتخصصون في التربية والمناهج وطرق التدريس.

ففي "آفات على الطريق" صدر له ثمانية أجزاء يتناول الآفة بشكل مميز؛ حيث يعرُفها في اللغة والاصطلاح ويذكر أسبابها ومظاهرها وآثارها، ثم يرسم الطريق لعلاجها.

وفي "توجيهات نبوية" ينتقي أحاديث يختارها، ثم يقوم عليها بالشرح والإيضاح الذي له فيه منهجه الخاص كذلك؛ حيث يخرج الحديث ثم يذكر معناه إجمالاً، ويوضح ما فيه من جوانب متعددة، ثم يبين ما فيه من دروس دعوية وعِبَر إيمانية وملامح تربوية ينتفع بها الدعاة والقادة والمربون.

وله في هذا المجال كتابه الماتع: "من أخلاق النصر في جيل الصحابة"، وهو كتاب أخلاقي تربوي صوفي؛ أورد فيه الشيخ أربعة عشر خلقًا عند الصحابة كانت سببًا في تمكين الله لهم ونصره إياهم؛ يذكر الخلق ثم يدلل عليه بما في سيرة الصحابة مستشهدًا له بالقرآن والسنة، ولم يَفُتْه في نهاية الكتاب أن سجَّل بعض أقوال الأعداء عن هذه الأخلاق تؤكد أهميتها عند الصحابة وكيف كانت سببًا في نصر الله لهم.

وله رسالة طيبة عن: "تكوين البيت المسلم"؛ ذكر فيها الشروط

التي وضعها الإسلام ليكون البيت مسلمًا بحق، كما بيَّن العقبات التي يضعها أعداء الإسلام في طريق تكوين البيت المسلم وكيف يمكن التغلب عليها.

بالإضافة إلى كتابه: "الدعوة الفردية في ضوء المنهج الإسلامي"، وكتابه: "منهج الرسول في غرس روح الجهاد في نفوس أصحابه".

جهوده الدعوية

نذر الشيخ سيد نوح نفسه للدعوة إلى الله تعالى، وجعل نفسه وقفًا لله في وقت مبكر من حياته، ولقد كان لانتمائه للحركة الإسلامية أثرٌ بالغٌ في انطلاقته المباركة، وفي فهمه للإسلام، وفي حمله لقضايا الأمة وهمومها، لا سيما قضية فلسطين التي كان لها مكانتها وقيمتها عنده في كل محفل وفي كل خطبة.

توزعت جهودُ الشيخ الدعوية في مجالاتٍ عدة؛ فكان خطيبًا متطوعًا في وزارة الأوقاف الكويتية منذ ١٩٩٤م حتى وفاته؛ يخطب الجمعة في مسجد الوزان بشكل مستمر إلا في أيامه الأخيرة بسبب ظروفه الصحية، ولما كانت عملية تغيير الكبد وشفاه الله نصحه الأطباء بعدم بذل أي مجهود مراعاةً لحالته، لكنه كان يقول: "لقد كنت في حكم الميت، وأحياني الله تعالى لينظر ماذا أفعل، ومِن شُكر الله تعالى ألاَّ أتأخر عن دعوته وتبليغ رسالته"، فكان يخطب الجمعة ويلقي الدروس ويتحدث في الندوات ويحضر المؤتمرات حتى وافاه الأجل المحتوم.

ولقد كان للشيخ أيادٍ بيضاءُ على ما يُعرف في الكويت بـ"لجنة زكاة العثمان" التي أسسها المرحوم بإذن الله الشيخ حسن أيوب؛

حيث جعل لها الشيخ نوح أنشطة ثقافية وخيرية وعلمية، وفعَّل دورها الخيري في أنحاء الكويت وخارج الكويت، فكان لها الفضل الكبير في التكافل الاجتماعي ونشر العلم وتعليمه.

ومن العلامات البارزة في جهود الشيخ الحركية والدعوية مجال العمل الخيري؛ فقد جعله الله سببًا في كفالة كثير من الأيتام، وفي إطلاق سراح كثيرٍ من المسجونين المُعْسرين، وفي توفير الأدوية لكثيرٍ من المرضى، وفي توفير فرص عمل للعاطلين، وفي قضاء مصالح الناس وحوائجهم.. كل ذلك عبر دعوته للخير عن طريق أهل الخير؛ حيث كان مسجده "الوزان" يقوم بما لا تقوم به مؤسسة متخصصة في العمل الخيري.

القضية الفلسطينية

ومن أبرز القضايا التي كان له فيها دوره في العمل الخيري: القضية الفلسطينية؛ فقد كان يحشد الحشود، ويوحِّد الجهود، ويجمع النقود لأهل فلسطين، حتى إنه كان في عيد الأضحى يجمع قيمة الأضحية فيرسلها إلى فلسطين ويتم الذبح والتضحية هناك؛ فكان يجمع في الجمعة الواحدة أيام الأضحى ثمن ما يقرب من عشرين أو ثلاثين أضحية، علمًا بأن ثمن الأضحية الواحدة أربعون أو خمسون دينارًا كويتيًا.

وبالإضافة إلى هذا العمل الخيري وجَمْع الأموال الواجبة لأهل فلسطين، كان من الناحية الفكرية والدعوية لا تكاد تخلو خطبة من خطبه من حديثٍ عن فلسطين وقضيتها وأزماتها، وكذلك دروسه ومحاضراته؛ فكانت القضية حاضرةً في عقله، بارزةً في وجدانه، فكان يحيا لها، ويجاهد من أجلها جهادًا كبيرًا، بل عاشت في كيانه وجَرَت في عروقه مجرى الدم.

الفصل الثاني

- ورعه وزهده
- دعوته ونشره للعلم
- جهوده في خدمة الحديث

ورعه وزهده

كان رحمه الله تعالى من الرجال الذين شغلوا بالمحافظة على روح الأمة وصلتها بالله عز وجل، وبالمحافظة على منابع الحياة الإسلامية لذلك كان زاهداً ورعاً في بحر المادية الهائج وكان من العلماء العاملين المخلصين ومن الدعاة الكبار الذين زهدوا في طعام الدنيا فكان في سيرته الطيبة وحياته النزيهة الأثر الكبير في إصلاح المجتمع.

لذلك عَلِمَ بأن الزهد ثمرة العلم الرباني الذي يعرف به العالم مكانة الدنيا والآخرة ويوازن به بينهما، ثم يصل أن يبصر التفاوت الكبير بينهما فكان رحمه الله تعالى مثلاً في الزهد والورع.

وهذا الرجل إذا رأيته رأيت في وجهه زهد وورع العلماء الصادقين المخلصين وينطبق عليه قول أبو عمرو بن النحاس، وذكر أحمد يوماً فقال رحمه الله تعالى:

في الدين ما كان أبصره

وعلى الدنيا ما كان أصبره

وفي الزهد ما كان أخبره

وبالصالحين ما كان ألحقه

وبالماضين ما كان أشبهه

دعوته ونشرة للعلم

كان رحمه الله تعالى من الدعاة الصادقين إلى دين الله عز وجل ينشره بين الناس بنفسه وماله ولسانه، ويعلم الناس مما أتاه الله من فضله من العلم، وإلا فما خير من يتعلم العلم ليكتمه في صدره أو ليكسب به احترام الناس، أو ليتصدر به المجالس ولا يرعى حق الله فيه بنشره بين الناس، ولقد كان الشيخ السيد نوح رحمه الله من الذين يتعلمون العلم ويعلمونه وقد نشر العلم في كل مكان وصل إليه سواء كان في دولة الإمارات أو في مصر أو في دولة الكويت، جمع حوله كوكبة من طلبة العلم يحثهم ويرشدهم إلى طلب العلم مبيناً لهم فضل العلم والعلماء، حتى أصبحت الدروس والخطب والمواعظ راحة نفسيه وغذاء روحه وحاجة من حاجاته ولذة من لذائذه.

وكان رحمه الله لا يألو جهداً ولا يدخر وسعاً في تعليم الناس ونشر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يتحمل المشقة والعناء في ذلك وربما يقف طويلاً ليلقي كلمةً أو ينشر حديثاً وكان للعلم في نفسه هيبه ويوقره ويحترمه لأنه عباده من جملة العبادات ولأنه ميراث الأنبياء، وكان رحمه الله تعالى يعلم الناس وينصحهم ويرشدهم ويأمرهم بالمعروف

وينهاهم عن المنكر ويلتزم الأدب في تعليمه ويستعمل اللطف والفكاهة في نصحه وإرشاده رحمه الله تعالى.

جهوده في خدمة الحديث [1]

عُرِفَ الشيخ السيد محمد نوح (١٩٤٦-٢٠٠٧م) بالداعية والمربي، واشتهر بأنه صاحب: «آفات على الطريق»، «وتوجيهات نبوية على الطريق»، ولم يعرف بأن له جهوداً مقدوره في علوم السنة النبوية، كما لم يشتهر بأن له عطاء متميزاً في خدمة الحديث النبوي.

ومما يحزنني ويذهب نفسي حسرات أننا لا ننتبه لعلمائنا الكبار ودعاتنا الثقات إلا بعد رحيلهم، والشيخ سيد نوح ممن ظُلموا إعلامياً في حياتهم في الوقت الذي تغص فيه الفضائيات ببعض ممن لا علم لهم، أو ممن أطلق عليهم النبي صلى الله عليه وسلم: «الرويبضة»، وفسره بأنه الرجل التافه يتحدث في أمر العامة.

ولقد عاب العلامة الشيخ يوسف القرضاوي على الإسلاميين تقصيرهم في حق علمائهم، وعدم تقديرهم لهم واهتمامهم بهم، في حين أن الماركسيين والعلمانيين واللادينيين تُصنع لهم هالات مكبرة وأمجاد مزورة على أشخاصهم وتاريخهم وما يقدمون من أفكار.

---

[1] بقلم/ وصفي عاشور أبوزيد

على أية حال فإن عالمنا وداعيتنا المرحوم بإذن الله الشيخ السيد نوح له جهود في علوم السنة وخدمة الحديث النبوي تستحق أن نلقى عليها الضوء ليبرز هذا الجانب الخفي في علم الشيخ وعطائه.

وتدليلاً على هذه الزاوية المهمة عند الشيخ يرحمه الله أن أول تحقيق له كان كتاب: «المنهل الروي في الحديث النبوي» لابن جماعة؛ حيث يعد الشيخ السيد نوح من القلائل الذين شربوا من العالم المحقق السيد صقر الدقة وفن التحقيق، وهو أول كتاب نشرته دار الوفاء بالمنصورة بمصر.

الحافظ المِزِّي وكتابه تهذيب الكمال

أما دراسة الشيخ للدكتوراة فكانت عن: "الحافظ أبو الحجاج يوسف المزي وجهوده في كتابه تهذيب الكمال" وحصل عليها من جامعة الأزهر في عام ١٣٩٦هـ= ١٩٧٦م.

وقد عرف الشيخ سيد نوح الحافظ المزي من شيخه المحقق الكبير السيد صقر، وكان للشيخ سيد نوح السبق في التنويه بالحافظ المزي والكشف عن كتابه: تهذيب الكمال، الذي تتجلى جهوده معه فيما يلي:

أولا: أنه بيّن صلة "تهذيب الكمال" بكتاب "الكمال" لعبد الغني المقدسي الذي وُضع لرواة الكتب الستة، ولم يكن معروفا سوى كتابَيْ: تهذيب التهذيب، وتقريب التهذيب، لابن حجر

العسقلاني، فبيّن مكانة تهذيب التهذيب والتقريب، وأوضح قيمتهما العلمية، وأن الأصل هو تهذيب الكمال.

ثانيا: أنه كشف عن العلاقة بين الحروب الصليبية وحروب التتار؛ لأن هذه الفترة كان فيها هؤلاء العلماء المشار إليهم سابقا، وقد كانوا أصحاب جهاد في هذا الميدان.

ثالثا: أنه أوضح الحلقة المفقودة بين الكمال، وكتب ابن حجر، فلما سُمع عن الكتاب وعرفه الناس تم تحقيقه ونشره بعد مناقشة الرسالة بعشر سنوات.

وحسبنا إبرازًا لقيمة هذا العمل قول أحد أعضاء لجنة المناقشة لهذه الرسالة، وهو الشيخ محمد الحكيم قال للباحث السيد نوح: "لو كان المزي حيًا ورآك لقبَّل ما بين عينيك".

علم الطبقات وقيمته الحضارية

ومن جهود الشيخ في علوم السنة كتاب بعنوان: «علم الطبقات، حقيقته وقيمته العلمية والحضارية».

وفي هذا الكتاب عرَّف الشيخ علم الطبقات باعتباره عَلَمًا مركبا، فعرف كلمتيه ثم عرفه مجتمعا، وذكر نشأة علم الطبقات وتطوره حتى يومنا هذا، ثم ذكر أشهر كتب الطبقات، قسمها إلى أنواع ثم ذكر تحت كل نوع أمثلة له، ومن هذه الأنواع: طبقات الرواة عامة، وطبقات الرواة على المدن، وطبقات المفسرين، وطبقات الفقهاء عامة أو على مذهب

معين، وطبقات المتكلمين عامة أو على مذهب معين، وطبقات الأصوليين والمجتهدين، وطبقات النحاة واللغويين والبلغاء والأدباء، وهكذا حتى ذكر ١٣ نوعا من كتب الطبقات يمثل لكل نوع بما لا يقل عن ثلاثة أمثلة.

ثم بيّن القيمة العلمية والحضارية لهذا العلم فمن فوائده وثمراته: التمييز بين الأسماء المتشابهة أو المتفقة، والاطلاع على ما في الإسناد من إرسال أو انقطاع أو عضل أو تدليس ونحو ذلك، والاطلاع على حقيقة العنعنة هل هي سماع أم إرسال.

كما بيّن الشيخ أن لهذا العلم فوائد وثمرات في مجالات أخرى منها علم التاريخ والعمران البشري أو الاجتماع، وهو ما عناه بالقيمة الحضارية، ومن هذه الفوائد معرفة الأقران وما في ذلك من آثار، ومعرفة السابق واللاحق وما له من أهمية.

ثم تناول الشيخ منهج العلماء في تحديد الطبقات وترتيبها والصياغة: فهناك من حدد على أساس الزمن، وهناك من حدد على أساس الرؤية وملاقاة الشيوخ، وهناك من حدد على أساس الرؤية وملاقاة الشيوخ عموما والسبق إلى الإسلام ونحوه خصوصا، وقد جاء منهج ترتيب هذه الطبقات على عدة صور: ترتيب على أساس المدن، وترتيب على أساس حروف المعجم.

ثم أورد الشيخ بعض المآخذ الواردة على علم الطبقات، وبين

أسباب وقوعها، ورسم معالم علاجها، ثم عرف تعريفًا موسعًا بأنفع كتابين في هذا العلم، وهما: المعين في طبقات المحدثين للذهبي، وطبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي.

وبشكل عام فإن هذا العلم يقف المشتغل به على رؤية شمولية لترتيب العلماء عبر العصور تساعده على تكوين صورة ذهنية متكاملة، كما أنه يعطي صورة عن أثر هؤلاء الرجال في الحضارة الإسلامية، بالإضافة إلى أنه يعصم من زلل كثير ووهم متوقع وتخليط يمكن أن يقع فيه من لا معرفة له بهذا العلم.

الصحابة والتابعون في خدمة الحديث

ومن جهود الشيخ في خدمة الحديث النبوي أنه وضع كتابين عن خدمة الحديث النبوي؛ الأول بعنوان: «الصحابة وجهودهم في خدمة الحديث النبوي»، والثاني بعنوان: «التابعون وجهودهم في خدمة الحديث النبوي».

وفي الأول تناول مدلول الصحابي، وطريق ثبوت الصحبة، وذكر مرتبتهم من الجرح والتعديل، ومنزلة أقوال وأفعال الصحابة وفتاواهم من الاحتجاج وعمله، وبين طبقات الصحابة.

ثم كشف عن جهود الصحابة في خدمة الحديث النبوي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حيث الحرص على

حضور مجلسه مع الإنصات التام، والسؤال في الأمور المشكلة للمعرفة والفهم، والمعايشة له صلى الله عليه وسلم، وسماع ما يفوتهم من أقرانهم، والتعمق في حفظ باب أو أكثر من أبواب الحديث، وعرض اجتهاداتهم عليه صلى الله عليه وسلم ليبين لهم حكم الله في هذه الاجتهادات، وكتابة الحديث، وحفظ الحديث ومذاكرته، وتبليغ الحديث ونشره.

كما بيّن جهود الصحابة في خدمة الحديث النبوي بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى؛ حيث الحرص على سؤال بعضهم البعض، والتأكد والتحري من حقيقة ما يسمعون، والاستمرار في كتابة الحديث، والاستمرار في تبليغ الحديث، وبيان أحوال الرواة والمرويات.

أما عن التابعين وجهودهم، فقد عرف التابعي لغة واصطلاحا، وبيّن منزلتهم من الجرح والتعديل، وكشف عن جهودهم في خدمة الحديث النبوي تحمُّلا عبر ملازمة الصحابة، والاستمرار في كتابة الحديث، وكثرة السؤال للرواة، والمناظرات ومذاكرة الحديث، والاقتداء والتأسي بالصحابة.

كما بيّن الشيخ -الذي شاركه في هذا البحث الدكتور عبدالرزاق الشايجي أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الكويت- جهود التابعين في خدمة الحديث النبوي أداءً عبر الالتزام بالإسناد، وعقد الحلقات العلمية، والحرص على أداء

الحديث على وجهه، ووضع معايير علمية لمعرفة حال الرواة، وإجابة المستفتين، والقيام ببعض المهام الرسمية بين الأمراء وولاتهم أو بينهم وبين أهل الديانات الأخرى مما يحمل أصول العقيدة وكليات الإسلام وأمهات السنن وكان من يقوم منهم بمهمة رسمية يحاول نشر هذا كله، وكان من جهودهم: بيان حال الرواة، والدفاع عن الصحابة.

وبيّن الشيخ في نهاية البحث أن جهود التابعين في حاجة إلى الدراسة والاهتمام في هذا المجال؛ لأنهم لم يحظوا باهتمام يليق بهم، مثلما حظي الصحابة باهتمام يليق بهم.

درء التعارض أو تأويل مختلف الحديث

ومن المعلوم أن درء التعارض بين الأحاديث أو تأويل مختلف الحديث مجال شائك لا يجرؤ على خوضه إلا من تمكن من علمين أساسيين: الأول علم أصول الفقه، والثاني: علم أصول الحديث، ومع ذلك فقد خاض عالمنا هذا المجال ببحث أسماه: «درء تعارض أحاديث كراء الأرض».

حيث أورد الأحاديث التي وردت في النهي عن كراء الأرض وأثبت صحتها وخلوها من الاضطراب والنسخ عكس ما ذهب إليه البعض، كما أورد الأحاديث التي جاءت في إباحة كراء الأرض، وأنها محكمة وليست منسوخة، وعامة وليست خاصة.

ودفع الشيخ -على طريقة الأصوليين المحدثين- التعارض بين هذه الأحاديث جميعا، وحمل النهي على ما إذا كان هناك شرط فاسد، أو كان للتنزيه وليس للتحريم، والإباحة محمولة كذلك على الخلو من الشرط الفاسد؛ فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على التحذير والتنفير من كل ما ينفر القلوب، ويقطع أواصر الأخوة والمحبة.

ومن ميزات الشيخ هنا أنه يتناول تناول العالم الداعية المصلح، فبالإضافة إلى أنه يدعو إلى تناول مثل هذه الدراسات في ضوء المنهج النقدي للمحدثين متنا وسندا ليطمئن الناس إلى سلامة الدراسة وصحتها، فإنه يدفع هذا التعارض في ضوء الحملة التي يشنها المستشرقون على السنة، وأن السنة سليمة من التعارض والتناقض وقد صدرت عن المعصوم صلى الله عليه وسلم، وأننا يجب أن نهتم بالدراسات الموضوعية في السنة النبوية؛ لأن هذا يبين لنا آثارا عظيمة ودروسا عملية جليلة نجدد بها الدين ونصلح بها الدنيا.

توجيهات نبوية

ومن بدائعه التي طبقت شهرتها الآفاق وشرقت وغربت، وعُرف بها الشيخ في الدنيا كتابه الماتع: «توجيهات نبوية على الطريق» الذي صدر منه ٣ أجزاء شرح فيها الشيخ أربعين حديثا، اختارها بعناية لما تمتعت به من صحة في

السند، وزخرت به من معان إيمانية وتربوية ودعوية في المتن والمضمون، ومع أن مضمون الكتاب تربوي ودعوي، فإن انطلاقه من السنة والحديث النبوي.

وللشيخ طريقة متميزة عرف بها في شرح الحديث؛ فهو أولا يُخَرِّج الحديث ليبين درجته من الصحة، ثم يذكر معناه الإجمالي باختصار، وثالثا، يتناول شرح الحديث من عدة جوانب، ورابعا يذكر ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا.

كما أن من معالم منهجه في الشرح أنه يبين صلة الحديث بالقرآن، وصلة الحديث بأحاديث أخرى، ويذكر أثر الحديث في العلماء الذين تناولوه عبر الترجمة والعناوين التي تعنون له.

ولنأخذ مثالا على ذلك تطبيقا حتى يتضح الأمر، لنقف على أهمية طريقة الشيخ في الشرح؛ ففي حديث: «عجبا لأمر المؤمن...»، وهو الحديث السابع والثلاثون من كتاب توجيهات، ذكر تخريجه، وللشيخ طريقة متميزة متكاملة في التخريج عموما، فهو يذكر الكتاب من كتب السنة، ثم يذكر الكتاب ثم الباب ثم رقم الجزء والصفحة ثم رقم الحديث، وهي طريقة جامعة مانعة فيها من التسهيل على الباحث ما لا يخفى.

ثم ذكر الشيخ المعنى الإجمالي للحديث بأن كل قدر المسلم خير وأن الله لا يفعل به إلا خيرا في كل أحواله سواء في

السراء أو الضراء.

ثم تناول الشيخ شرح الحديث من جوانب أربعة:

الأول: أبرز سمات المؤمنين كما جاءت في الحديث، وفي نصوص أخرى.

الثاني: ماهية المؤمن الموسوم بالسمات المذكورة آنفا، وطريقة إيجاد هذا المؤمن.

الثالث: ماهية الشكر، وصوره، ومنزلته، وسبيل التحلي به.

الرابع: ماهية الصبر، وصوره، ومنزلته، وسبيل التحلي به.

ثم تناول هذه الجوانب بالتفصيل والأفكار والعناصر التي تسمح للشيخ وتسلس له كما لم تتح وتسلس لأحد قبله، حتى استغرق شرحه للحديث ٢٨ صفحة.

وفي النهاية يقرر الشيخ ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا بأن الإيمان من أجل نعم الله على العبد، وأنه من الضروري مواجهة النعمة بالشكر لننعم بفوائده وثمراته، ومواجهة الشدة بالصبر لفوائده وثمراته.

وهكذا يمضي الشيخ في كل حديث يتناوله بهذا المنهج الثابت الذي يترك في عقل القارئ صورة واضحة عن ماهيته وجوانبه وكيفية تحقيقه في الواقع، والوسائل والطرق التي إن سلكها حقق هذه المعاني الكبيرة في حياته.

وكان رحمه الله يتمنى أن يشرح سنن أبي داود وسنن ابن ماجه،

ويطبق فيهما منهجه؛ لأنه كان يرى أنهما لم يخدما بما يليق بقدرهما.

ولا يفوتنا أن ننوه هنا بربانية الشيخ في انطلاقته لشرح هذه الثلة المختارة من الأحاديث، وغيرها من كتاباته الحديثية، وهي حمله لقضايا أمته واستحضاره لمشكلاتها وواقعها، ولم تصرفه معالجة الأمور الأكاديمية بين الكتب والأوراق وبخاصة في مجال مثل مجال الحديث وعلومه عن الصلة بينها وبين واقع الأمة.

ففي كتاب «الصحابة وجهودهم في خدمة الحديث النبوي»، وهو موضوع أكاديمي صرف، إلا أنه دخل إليه مدخل المربي المصلح حين أكد في مقدمته دوافع الكتابة في هذا الموضوع وهو إن بعض المسلمين اليوم مضيِّعون ومفرطون في حق الله، وفي حق أنفسهم، وفي حق البشرية كلها، ويتجلى مظهر هذا التضييع وذلك التفريط في تداعي الأمم علينا من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها، وإمساك هؤلاء بخناقنا، ومحاولة تضييق هذا الخناق حول أعناقنا، حتى لم يعد يظهر أمام الرائي أي منفذ أو متنفس، وهناك أسباب كثيرة لعل أهمها يرجع إلى عدم تقديرنا للميراث الذي ورثناه عن أسلافنا، والجهود الضخمة التي بذلها هؤلاء الأسلاف في حفظ الميراث والمحافظة عليه من عبث العابثين وكيد

الكائدين، حتى وصل إلينا سليما نقيا كما ورثوه عن صاحب الرسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وقد نطق الواقع بأن من آلت إليه تركة أو قعد على ميراث لم يعرف قيمته، ومقدار المبذول في تحصيله، يمكن أن يبدده بسهولة ويسر.

وحسبنا أن نقرأ مقدمة كتابه «توجيهات» في مجلدين؛ حيث قال في المجلد الأول الذي يحوي الجزء الأول والثاني من توجيهات: «هذه نظرات في أحاديث مختارة من مشكاة النبوة، حرصت على ربطها بروح الإسلام وجوهره، مع التركيز على الجوانب التربوية والدعوية لحاجة الأمة الإسلامية إلى ذلك، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب».

وفي مقدمة المجلد الثاني الذي يحوي الجزء الثالث يقول: «هذا هو الجزء الثالث من كتاب توجيهات نبوية على الطريق تشرق شمسه على الأمة الإسلامية وهي تعيش محنة لم يشهد التاريخ لها مثيلا منذ أخرجت للناس حتى يومنا هذا، حاملا في طياته توجيهات من الهدي النبوي على طريق الخلاص واستعادة مركز الإمامة والقيادة للبشرية، تلك التي كانت لها أول مرة، راجيا من الله القبول، ومن المسلمين الدعاء، إن ربي سميع الدعاء».

هكذا كان يصدر الشيخ في كل ما يكتب عن معالجة قضايا الأمة، وعن استشعار الحالة التي تعانيها، حتى في أشد

الأبحاث أكاديمية وعلمية كان يوجد صلة ما بينها وبين الواقع المعاصر موجها ومربيا ومرشدا ومصلحا.

ولم تقتصر جهود الشيخ السيد نوح في خدمة الحديث النبوي على الأبحاث الأكاديمية المحكمة -على كثرتها- بل تعدى ذلك إلى تبسيط معاني الأحاديث وتوصيلها للناس بأسلوب ميسور قريب المأخذ، شهي المأكل، مشوق العرض، سهل الفهم والاستيعاب.

كل ذلك عبر دروسه التي ما كان يبرحها حتى أيام مرضه في عدد من المساجد والجمعيات الدعوية والخيرية بالكويت، فكان يشرح كتاب رياض الصالحين للنووي، وصحيح البخاري، بالإضافة لدورات في حفظ الحديث، وسلسلات أخرى من كتب السنة النبوية.

وللشيخ أبحاث أخرى محكمة كتبها ونشرت في عدد من الدوريات، ومعظمها أبحاث في دراسات موضوعية في ضوء الحديث النبوي، ومن هذه الأبحاث:

الحسد والعين في ضوء السنة النبوية، والتواصل الحضاري بين الأجيال في ضوء الحديث النبوي، وحديث حنظله: ساعة وساعة وفقه العبادة في الإسلام، ومقدمات في تخريج الأحاديث، وميزان الأعمال في الإسلام من خلال حديث إنما الأعمال بالنيات، وغاية البيان في شرح مختارات من السنن،

ومقاصد الزواج في ضوء السنة النبوية، ومناهج المحدثين في رواية الحديث بالمعنى، ومستقبل الإسلام في ضوء الحديث النبوي، والتفاؤل والتطير في ضوء الحديث النبوي، وحسن الأسماء والكنى والألقاب، المغزى والضوابط في ضوء الحديث النبوي، وكتاب شفا الصدور في تاريخ السنة ومناهج المحدثين، وهو كتاب في علم التخريج كان مذكرة مقررة على طلابه في كلية أصول الدين بالمنصورة.

وقد صدرت هذه الأبحاث في عدد من الدوريات والحوليات منها: حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، ومجلة الشريعة والدراسات الإسلامية بالكويت، ومجلة مركز بحوث السنة والسيرة بقطر، ومجلة الآداب بجامعة الإمارات، وبعض كتبه منشور في دار اليقين بالقاهرة، ودار الوفاء بالمنصورة.

كل هذه الأعمال، وغيرها من الدراسات التي تُصنف في أصول الحديث، جديرة أن تقيم رسالة ماجستير -على الأقل- عن جهود الشيخ في خدمة السنة والحديث النبوي شرحا ودراسة وتأصيلا وتقريبا، وبيان منهجه المتميز في التعامل مع الحديث، وهو منهج نحن جميعا في حاجة إلى إبرازه وتعزيزه ونشره لا سيما إذا كان صادرا عن عالم رباني مثل الشيخ سيد نوح عليه رحمة الله ورضوانه.

الفصل الثالث

ثناء العلماء والدعاة

- الشيخ: عبدالرحمن عبدالخالق
- د. يحيى اسماعيل
- الشيخ: جاسم المهلهل
- الشيخ: أحمد القطان
- د. توفيق الواعي
- د. محمد الطبطبائي
- د. عبدالله العتيقي
- د. طارق الطوارى
- الشيخ : عبدالحميد البلالي
- الشيخ : رياض عمشة
- الشيخ : محمود الشيمي
- د. سمير يونس
- د. أبواليزيد العجمي
- أ. عبير الرفاعي

محب الخير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد ﷺ وبعد،

فقد عرفت الشيخ الأخ الدكتور سيد نوح رحمه الله وأسكنه جناته عالماً عاملاً حريصاً على الخير داعياً إلى الله سبحانه وتعالى بكل سبيل في دروسه ولقاءاته ومحاضراته ورغم أنه كان يعاني من كثير من الأمراض والأسقام إلا أن نشاطه وعمله في الدعوة إلى الله لم ينقطع وإني لأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمده برحمته وأن يقبله في الصالحين من عباده.

الشيخ

عبدالرحمن بن عبدالخالق

أخي السيد محمد السيد نوح

يقول الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد الذهبي «عند ذكر الصالحين تتنزل الرحمات»

لقد صحبتك في الدنيا صحبة أطال الله عمرها بحساب السنين والأيـام- سنة ونصفا بعد الثلاثين- كانت بدايتها بكلمة وختمها الله لي منك بدمعة.

أما الكلمة فكانت من شيخ كبير درَّس لك بمعهد المحلة الكبرى ثم شرُفْتُ أنا بالعمل معه مدرسا للتفسير والحديث بمعهد ميت غمر الديني لمدة أسبوعين قبل أن أكلف بالعمل بكلية أصول الدين جامعة الأزهـر الشريف معيدا. يومها قال لي الشيخ الكبير الأستاذ محمد العيسوي -يرحمه الله- وكيل المعهد وأنا أودعهم لمَّا علم أن تكليفي كان إلى قسم الحديث وعلومه «معك في هذا القسم تلميذ لي ابحث عنه وتعرف عليه اسمه سيد نوح». وكانت والله نعمة العطية منه ونعمت الهدية. فبها بدأت الرحلة المباركة لكلينا معا وعلى إثرها طوَّف وطوَّفْتُ معه في الدعوة وفي الآفاق. لم أسمع معها لكلمة «أخي» رنينا ولم أتذوق لها حلاوة مثل حلاوتها ورنينها بعد أن ينقله عنه لي شيخنا فضيلة الأستاذ الدكتور إبراهيم الدسوقي خميس-له من الله الرحمة الواسعة-.

لقد شرف كلانا بالتلمذة عليه ولم تر عين واحد منا له نظيرا في أستاذيته في علم التفسير .ولكن امتاز أخي سيد بطول الصحبة والملازمة له حتى عُرف به، كان في صحبته له على مثل ما كان أبو داود السجستاني صاحب السنن مع الإمام أحمد ابن حنبل صاحب المسند، لقد قال أبو داود في صحبته للإمام أحمد » لزمت احمد حتى رأيت تكة سرواله « وأشهد الله لقد حصل لسيد من شيخنا إبراهيم خميس مثل ما حصل لأبي داود من أحمد.

كان إذا تأخر سيد عن شيخنا لايجد له شفيعا في غير أن يقول له كنت عند أخويا يحي، ونقلها لي الشيخ فوجدت منها ما ذكرت.

عرفته أول ماعرفته موغلا في تجرده وزهادته .وحرصت على أن انقل له شيئا مما وجدت وأجد في دعوة الإخوان المسلمين، وكانت المناسبة أن طلبت إليه أن يذهب إلى شيخي وأستاذي الأستاذ محمد العدوي رفيق درب الأستاذ عمر التلمساني الذي عرفه من قراءته لمجلة الدعوة .فقلت له سيكون عندكم بمحلة أبو علي أخوه محمد العدوي فاحرص على مقابلته وأبلغه السلام. فما كانت أسرع إجابته وما كان أسرع فضل الله إلينا ؟!! فما أن قابل الأستاذ العدوي وعرف كل صاحبه وعرف الأستاذ العدوي مكانته من أهل العلم حتى قال له « أين علماء

الأزهر اعملوا ونحن أحذية لأقدامكم» .

وبهذه العبارة العدوية الصادقة ولد أخي سيد نوح ميلادا جديدا، كان يسابق به الزمان و الأحداث والرجال، حتى إنني كنت أشفق من عظيم همته في الدعوة على ما كان يلقاه بيته منها ومنه، وما كنت أجد من سبيل لضبط إيقاعه في غير الأستاذ مصطفى مشهور، أستعين به لما لاحظته من توقير في سيد لأهل الدعوة والقائمين عليها، فلم أره يوما مالنا عينيه من اثنين مهابة وتوقيرا أحدهما الأستاذ عمر التلمساني والثاني الأستاذ مصطفى مشهور.

بعد أن ولي الدكتور رءوف شلبي عمادة كلية أصول الدين بالمنصورة رغب إلى أخي سيد أن يقبل الانتقال إليها ليكون وكيلا له بها، ولم يجد سبيلا يصل منه إلى قلبه ويحمله به على التضحية بمكانه ومكانته بالكلية الأم بالقاهرة سوى أن يقول له تعال إلى كلية تستطيع منها أن تحقق ما تراه من برامج وتكون فيها قريبا من أحبابك.

واستجاب يرحمه الله بعد ما تعزَّز طلب العميد بشوق الأستاذ العدوي وترحيبه، فزرع بها- على قصر المدة التي قضاها فيها- زرعا لايزال يؤتي أكله كل حين بإذن ربه.

حدثني أخي الشيخ محمد الحلوجي أنه- وكان وقتها طالبا بكلية اللغة العربية بالمنصورة- رأى الشيخ الوكيل سيد نوح

يوما وقد سمع طالبا من طلاب الكلية منحرفا يسب الدين داخل الكلية فلما توجه إليه الشيخ مؤدبا فر الطالب مسرعا ،فما كان من الشيخ إلا أن خلع عمامته وجبته ،وشد مأزره ،وأطلق لساقيه العنان وظل مطاردا لهذا الطالب المنحرف ما يقارب الخمسة من الكيلوات حتى لببه بثيابه ،وأتى به إلى العميد ملببا متلبسا طالبا إليه نظافة الكلية منه، ولم يجد عميد الكلية بدا في غير أن يستجيب له.

لقد عرفت بصحبته حقيقة لغة القلوب،فلم يكن لنا من وسيلة للوصول إلى كلية أصول الدين بالقاهرة حين كان ينزل علي بحجرتي التي كنت أسكنها بالترعة البولاقية بشبرا لم يكن لنا من وسيلة مختارة غير أقدامنا حرصا منا على الاستماع من بعضنا إلى القرآن الكريم، يسمع مني جزءا منه وأسمع له الجزء الآخر حتي نأتى على الجزئين أو الثلاث مع ما كان يتخلله من نظرات وخواطر.

وظل هذا عهده مع القرآن الكريم مع كل من عرفه ولقيه .فلقد حدثني أخي وأخوه الأستاذ الدكتور أبو اليزيد العجمي وكان يساكنه في منزل واحد بالكويت أن ورده القرآني في اليوم الواحد بلغ الستة أجزاء غير ما كان من أمره معه في رمضان إذ كان يختم القرآن الكريم فيه كل ثلاثة أيام تقريبا ، ولقد شاهدته أنا بنفسي مع من زاره معي قبل أن يجود بروحه

الطيبة وقد ذهب صوته ظل يحرك شفتيه بالقرآن الكريم حركة ملحوظة بسرعتها واسترسالها وعيته عنه ببعض الفاظه التى أدركتها منه .

لقد قدر له على غير تقدير منه أن يكون لإخلاصه بعلمه وعمله واسطة العقد بين السابق واللاحق من علماء الأمة وهداتها ، فقد كانت رسالته التى حصل بها على العالمية - الدكتوراه- في الحديث وعلومه بأعلى تقدير في « الإمام أبي الحجاج المزي وجهوده في كتاب تهذيب الكمال » وقد حظي رحمه الله بما لم يحظ به طالب مثله في رسالته من شهادة الشيوخ وجميل الأثر ، والإمام المزي الذي على دراسة جهوده كانت عالمية أخي سيد نوح هو أحد أربعة أعلام تفقه بعضهم ببعض ، قلَّ أن يجتمع مثلهم مع بعض في زمان ومكان بعد عهد التابعين وهؤلاء الأربعة هم :

١- الإمام المجدد أحمد بن عبد الحليم بن تيمية

٢- الإمام الحافظ ابن كثير

٣- مؤرخ الإسلام الإمام الذهبي

٤- ثم إمام المحدثين جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف المزي ، الذي يقول فيه الإمام الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء « ما رأيت أحدا في الرواية أحفظ منه ، وغالب المحدثين من دمشق وغيرها قد تلمذوا له

واستفادوا منه ،وسألوه عن المعضلات فاعترفوا بفضيلته وعلو ذكره» وعلى مثل هذا كانت منزلة سيد نوح في اللاحقين .

لقد استفدنا من علمه مثل ما أفدنا من عمله وخلقه ، كان سباقا لفعل الخيرات وتلبية حق الدعوة ونفع الإخوان ما إن رغبت إليه وعرضت عليه أمر التخفيف عني وهو الأكبر مني علما وعملا وعمرا أن يذهب بدلا مني إلى دولة الامارات العربية ليؤدي عني واجبا رغب الى فيه وكلفني به الأستاذ عمر التلمساني حتي أنجز رسالتي في التخصص - الماجستير- في الحديث وعلومه الذي كان إليه الفضل بعد الله في إختيار موضوعها لي « أسباب ورود الحديث » ما إن عرضت عليه ذلك حتى وجدت فيه خفة ومسارعة خدمة لأخيه ، وشاءت إرادة ربنا أن تكون تلك السفرة بداية رحلاته وأسفاره التي طالت ولم يدخل بعدها مصر إلا قليلا إذ أعقبها أحداث سبتمبر ١٩٨٠ وما تلاها ، ثم جمع الله الشتيتين بأرض الكويت وأسأله جل علاه أن يجمع بيننا في الآخرة على مثل ما جمع بيننا في الدنيا تحت لواء إمام المرسلين وقائد الغر المحجلين ، من رفع الله لنا به ذكرنا في العالمين (محمد رسول الله والذين معه) .

فقد كان آخر ما ودعني به يرحمه الله حيث فاضت عيناه بها لما ذهبت إليه بالمستشفي مودعا قبل سفري لأداء العمرة التي كانت مساء الجمعة الرابع عشر من جمادى الآخرة ١٤٢٨ وما

أن علم بوجهتي بعدها تلبية لحق من حقوق الدعوة حتى فاضت عيناه بالدموع وقال لي « إنه فتح » فقلت له أسأل الله أن يشركك معي في أجرها إذا كان لى أجر ، ثم قص علي ما كان من رؤيته لأبيه يرحمه الله معه الذي آتاه ليلتها مشرق الوجه مشتاقا إليه ، ثم قال لي ، ما قولك فيها وقد أولتها ، فوقفت على حقيقة أمره منها وأدركت أنها دمعة مودع وما هي إلا أيام حتى أتاني نبأ شدته على الهاتف من ولده عبادة يوم الخميس الثامن والعشرين من جمادى الثانية فخففت إليه صبيحة هذا اليوم الذي أديت فيه عمرة أخري دعوت الله فيها إن كان قدر على سيد الوفاة أن يمهله حتى أودعه وقد حقق الله لي ما أردت وأدركته قبل أن يعاين سكرات الموت التي أسأل الله رب العالمين أن يجعلها آخر عهده بالمتاعب والآلام ، وقد فاضت روحه الطاهرة صبيحة السادس عشر من رجب الفرد ١٤٢٨ الموافق ٣١ يوليو ٢٠٠٧ .

فاللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده وأغفر لنا وله.

د.يحيى إسماعيل- أستاذ الحديث في جامعة الأزهر

سيد نوح.. ذلك العالم الجليل

مهما طالت الحياة لابد أن يعقبها الموت، ذلك الواعظ الصامت الذي يعظ الناس بلا كلام وكأنه يقول لكل إنسان، إني كأس لابد أن تشربه، لا خيار لك في ذلك، ولابديل عن الموت لكل حي، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (الجمعة).

هذه الحقيقة إن استقرت في قلب المسلم، صلح حاله، وعلم أن الدنيا ما هي إلا مزرعة للآخرة، الدنيا بمتاعها وأعراضها وملذاتها ما هي إلا مرحلة انتقالية إلى دار نعيمها لا يبلى، وملكها لا يفنى، الدنيا وإن طالت قصيرة، ما دامت لأحد، ولو دامت لأحد- لغيرها- لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالبقاء فيها، فلابد أن تستقر حقيقة الموت في نفس كل مسلم.

ولهذا قال سيد الخلق صلى الله عليه وسلم: «أكثروا من ذكر هادم اللذات الموت» (٢).

وعن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي المؤمنين أكيس؟ قال: أكثرهم للموت ذكراً، وأشدهم استعداداً،

---

(١) سورة الجمعة ٨

(٢) الترمذي برقم ٢٣٠٧.

أولئك هم الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة»(٣).

وقال الحسن البصري: فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فيها فرحاً. هذه الحقيقة تجعل المسلم يؤثر الآخرة التي تبقى على الدنيا التي تفنى.

في الصحيح أن جنازة مرت فأثنى الناس عليها خيراً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وجبت»، ثم مرت جنازة أخرى فأثنوا عليها شراً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وجبت»، فسئل عليه الصلاة والسلام: ما وجبت؟ فقال عليه الصلاة والسلم: «الأول أثنيتم عليه الخير فوجبت له الجنة، والثاني أثنيتم عليه بشر فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض(٤).

ومن هذا فنحن نشهد للشيخ سيد نوح رحمه الله بالصلاح- نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله-، وهذا كان واضحاً لمن حضر جنازته في ذلك اليوم المشهود، ورأى تلك الجموع التي ملأت المسجد حتى اضطر الكثير للصلاة خارج المسجد، وهنا تذكرت مقالة الإمام أحمد: «قُولُوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز»(٥).

---

(٣) رواه ابن ماجه برقم ٤٢٥٩.

(٤) الترمذي برقم ١٠٥٨.

(٥) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب لمحمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي.

وإن كان الناس يفهمون الأفضلية بكثرة العدد فأنا أفهم الأفضلية بالنوعية التي تأتي، وغلا فكم من فاسق له جاه في الدنيا كثر مشيعوه لجاهه بعد أصبحت المقابر ودور العزاء نوعاً من المفاخرة الاجتماعية، أما الشيخ سيد نوح رحمه الله فقد كثر مشيعوه، وظهرت علامات الصلاح، وسيما الخير على وجوههم فهنيئاً له.

لكل إنسان سمة وعلامة مميزة، وقد كان للشيخ رحمه الله سمات عديدة وخصال جمة وغفيرة، وإن كان للشيخ من سمة يتميز بها على من سواه فهي حسن خلقه رحمه الله، وهي الأمر المتوقع من أهل الحديث..

فالشيخ رحمه الله تخصص في علوم الحديث وفي كلام خير الخلق صلى الله عليه وسلم، وأهل الحديث لهم فضل على غيرهم من ذوي الاختصاصات الأخرى- غير القرآن- نظراً إلى متعلق اختصاصهم ومجال بحثهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ذهب أهل القرآن والحديث بشرفي الدنيا والآخرة.

والشيخ رحمه الله عرف بصفة قلما يتصف بها أحد وهي أنه نذر نفسه لقضاء حوائج الناس، ودافعه إلى ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه بن عمر رضي الله عنهما قال: قال صلى الله عليه وسلم: إن لله أقواماً يختصهم بالنعم لمنافع

العباد »(٦).

قد مات قوم وما ماتت فضائلهم ومات قوم وهم في الناس أحياء ، وأفضل الناس ما بين الورى رجل تقضى على يده للناس حاجات .

فكان رحمه الله محباً للخير، وممن يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، يعرف ذلك كل من خالطه وتعامل معه، وكان رحمه الله يتمتع بمكانة سامية حتى عند مخالفيه.

وكان يحظى رحمه الله بالثناء من القريب والبعيد من الموافق له ومن المخالف.

وكان رحمه الله لا يحب الإطراء، ولا يحب المدح، سائراً على نهج العلماء العاملين في ذلك، فرحمه الله رحمة واسعة.

كان رحمه الله إلى آخر لحظة قبل غيبوبته في اتصال مع الله، وفي حضور معه بقلبه وروحه حتى إنه كان يردد الشهادة، ويرحب بزائريه بنظراته وبشدة قبض يده على أيديهم، وأذكر أني كنت في زيارة له قبل دخوله مرحلة الغيبوبة فشد على يدي من غير أن يتكلم، فأحسست في قبض يده قوة كقوة شاب في عنفوان قوته، وهذا عنوان المحبة التي عرف بها الشيخ رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

---

(٦) صحيح الجامع ٢١٦٠.

في الحديث قال صلى الله عليه وسلم: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له...»(٧).

ونسل الإنسان العادي هو ما ارتبط به برحم أبوة فبنوة، لكن رحم العالم موصول بعلمه الذي يورثه لغيره، قال العلماء: «العلم رحم بين أهله» وهذا العلم يجعل صاحبه لا ينقطع.

فالموت قاطع للأعمال والعلم واصل لها، بالموت ينسى الإنسان مع مرور الأيام وبالعلم يظل ذكره في الناس حسناً والذكر للإنسان عمر ثان.

والشيخ سيد نوح رحمه الله نحسبه ممن لا ينقطع عمله فنحسب أن الله تعالى رزقه علماً تنقل به من بلد إلى بلد، فمن منشئه مصر ثم إلى قطر ثم إلى الإمارات، وأخيراً استقر به المطاف في بلدنا الكويت؛ لتواري جثمانه الطاهر، وفي كل بلد كان يعمل جاهداً على تبليغ رسالته، ونشر علمه، فلم يكن يرفض دعوة لإلقاء درس أو محاضرة علمية، حتى في أوقات مرضه، وكان له في كل بلد زارها طلاب، وتلاميذ أحبهم وأحبوه، ورأوا فيه العلم والإخلاص فأقبلوا عليه، ليتعلموا منه ويكونوا امتداداً لعمله الصالح، وتتواصل حلق العلم ولسان الحال:

نحن القوم إذا سيد منا مضى ... قام سيد قؤول بما قال الكرام فعول

(٧) رواه ملك في الموطأ

وقد توفى الشيخ سيد نوح رحمه الله في يوم الاثنين، وكأنه تمنى من الله أن يقبض في ذلك اليوم الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو اليوم الذي تمنى أبو بكر الصديق رضي الله عنه أيضاً أن يموت فيه.

فيروى أن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثقل أبو بكر قال، أي يوم هذا؟ قلنا: يوم الاثنين، قال فأي يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلنا: قبض يوم الاثنين، قال: فإني أرجو ما بيني وبين الليل.

والشيخ سيد نوح رحمه الله توفى فجر يوم الاثنين، وشاء الله أن أكون زائره يوم الأحد، فوجدته على سريره وليس فيه إلا نفس، فوضعت يدي على رأسه ودعوت له، وقلت بعد ذلك لمن كان معي: إن الله عز وجل سيكرم هذا الرجل صاحب الحديث وصاحب القرآن وصاحب الخلق الحسن إن شاء الله غداً الاثنين، فرحمه الله، ورضي عنه. وهنا أسرد عليكم بعض مقالات الصالحين على فراش الموت، فلهم عليه كلام نفيس يعتبر.

• أبو بكر الصديق:

قال عبدالله اليمني -مولى الزبير بن العوام-: لما احتضر أبوبكر رضي الله عنه تمثلت عائشة رضي الله عنها بهذا البيت:

أعاذل ما يغني الحذار عن الفتى

إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فقال أبو بكر رضي الله عنه: ليس كذلك يا بنية، ولكن قولي: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾ (ق) انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما، ثم كفنوني فيهما؛ فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت».

● عمر بن الخطاب:

قال عمرو بن ميمون الأودي: رأيت عمر بن الخطاب قال: يا عبدالله بن عمر؛ اذهب إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقل: يقرأ عمر بن الخطاب عليك السلام، ثم سلها أن أدفن مع صاحبي، قالت: كنت أريده لنفسي، فلأوثرنه اليوم على نفسي، فلما أقبل قال له: ما لديك؟ قال: أذنت لك يا أمير المؤمنين، : ما كان شيء أهم إلي من ذلك المضجع، وقال ابن عمر: كان رأس أبي في حجري فقال: ضع خدي على الأرض فوضعته فقال: ويل لي وويل أمي إن لم يرحمني ربي».

● مالك بن أنس:

قال ابن أبي أويس: اشتكى مالك أياماً يسيرة فسألت بعض أهلنا عما قال عند الموت، قال: تشهد، ثم قال: لله الأمر من قبل ومن بعد».

● معاذ بن جبل:

قال الحارث بن عميرة: إني لجالس عند معاذ، وهو يموت،

(٨) سورة ق، الآية ١٩.

وهو يغمى عليه ويفيق، فقال، اخنق خنقك، فوعزتك إني لأحبك.

وقال عمرو بن قيس عمن حدثه عن معاذ بن جبل: أنه لما حضره الموت قال: انظروا أصبحنا؟ فأتي فقيل: لم تصبح، فقال: انظروا أصبحنا؟ فأتي فقيل له: لم تصبح حتى أتى في بعض ذلك فقيل: قد أصبحت، قال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، مرحباً بالموت مرحباً، زائر مغيب، حبيب جاء على فاقة، اللهم إني قد كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

وها نحن اليوم نتذكر هذا الرجل الكريم والعالم الحليم الذي انضم إلى قافلة العظماء وركب العلماء الذين تركوا من بعدهم أثراً صالحاً يذكرهم به أحبابهم وطلابهم، ويكون دافعاً لهم لصنعٍ كالذي صنعوا وفعل كالذي فعلوا، وله نسأل الله تعالى أن يتغمده برحمته وأن ينزل به من الرحمة أضعاف ما نزل به من البلاء.

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

الشيخ الدكتور جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين

صاحب دعوة معتدلة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

قال عليه الصلاة والسلام: «إنّ للمساجد أوتاداً الملائكة جلساؤهم إن غابوا افتقدوهم وإن مرضوا عادوهم وإن كانوا في حاجة أعانوهم» (رواه أبو داوود وصححه الألباني) نحسب شيخنا سيد نوح منهم ولا نزكي على الله أحداً فكم له في المساجد من دروس، وفي الجامعات من محاضرات قام بتربية أولادي حتى صاروا دعاة.

إن تلاميذه في دول الخليج وقبلها مصر رباهم على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فهم يعرفون قدره فهو يعمل بإخلاص وصمت ومن خلف دعاة ما مات فهم سنته يعملون بعلومه ومن كتبه ينتفعون إنه من ورثة الأنبياء دعوته معتدلة لا إرهاب ولا تكفير ولا تفجير كل تلاميذه رحمة لأبائهم وأمتهم وأوطانهم كنا نعوده خلال مرضه فكان يذكرنا ويعظنا اللهم اجعل روحه في عليين وأنزله منازل الشهداء والصديقين، آمين.

الشيخ

أحمد القطان

قدوة لطلبة العلم

إنه بوفاة الأستاذ الدكتور السيد محمد نوح فقدت الأمة الإسلامية أحد علمائها العاملين وهو من العلماء الذين لهم دور بارز في مسيرة الدعوة إلى الله تعالى- حيث أفني حياته يرحمه الله في تحصيل العلم وتعليمه وقد كان قدوة صالحة لطلبة العلم ومعلماً ربانياً. عمل على نشر الدعوة لعموم المسلمين داخل الكويت وخارجها. كما كان رحمه الله تعالى مبادراً في الخير من خلال تلبيته أية دعوة توجه له من أي قطر من أقطار العالم الإسلامي ليبلغ دعوى الله عزوجل.

د / محمد الطبطبائي

عميد كلية الشريعة بجامعة الكويت السابق

أميرُ الدعاةِ سلامٌ عليك

سلامٌ عليك يا حافظَ القرآن الكريم، وعالم الشريعة الفقيه، وداعية الرسالة الفذ، وعالم الأمة الهمام، ولسان الهداية الفصيح، ومربي الأجيال القدوة، وموجه الشباب الكريم.

سلامٌ عليك يا صاحبَ الحجة الواضحة، وأمير البيان البليغ، ورائد الدعوة الفاقه.

سلامٌ عليك يا صاحبَ الخلق الفاضل، والحياء الجميل، والأدب الجم، والنفس الطاهرة، والصدر السليم، والأخوة الحانية، والجهد العظيم.

سلامٌ عليك كريمًا في عطائك، سمحاً فيه بذلك، حانيًا على إخوانك، نبيلاً في عشرتك، عزيزًا في نفسك، عفيفًا في يدك.

سلامٌ عليك من الجمهور المحبِّ لك، ومن السائرين في ركابك، والمتفقهين عليك، والعاشقين لحديثك، ومن إخوانك المكلومين لفراقك، الفاقدين لعلمك، ورجولتك وهديك، وجهادك، وعاطفتك، وسندك، وتوجيهك، وحنانك.

سلامٌ عليك يا أميرَ الدعاة، وعالي الهمة، جوالاً بكلمة الحق، فما مالأت ظالمًا، أو مدحت سلطانًا، أو نافقت حاكمًا، أو هادنت فاسقاً، بل كنت دائمًا سندًا للحقِّ وسيفًا على الباطل، ومعينًا

لأصحاب الصواب، ومساعدًا للمحتاجين والمكلومين، فأنت بحقٍّ دائمٌ بذكراك ومآثرك، حيٌّ بعلمك وآثارك.

يموت الصالحون وأنت حيّ تخطّاك المنايا ولا تموت

وصدق رسول الله- صلي الله عليه وسلم-: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية أو علمٌ ينتفع به أو ولد صالح يدعوا له".

سلامٌ عليك مجاهدًا في سبيل الحق، ومرشدًا لدروب العلم، وموجهًا لأنوار المعرفة، وماحيًا لظلام الجهالة، ومصلحًا لاعوجاج الطبائع، ومداويًا لنزعات الشياطين، وباعثًا للنهضة الثقافية الحقة، التي تزود الأمة بالرجال الصالحين والشباب العاملين.

ولا يَصْلُحُ الفتيان لا علم عندهمُ

ولا يجمعونَ الأمر أنصاف جُهَّال

وليس لهم زادٌ إذا تزودوا

بياناً جزاف الكيل كالحَشَف البالي

سلامٌ عليك يا عَلَمَ الهداية، وقدوة الدعاة، ومبعث النور، ومصدر التوجيه للإصلاح والصلاح، وباني العقول والأفهام، وقائدًا للغر الميامين، وإمامًا للركع السجود، وقائمًا للسنن والفروض، ومعينًا للمسرفين إلى التوبة والإنابة، والعمل لليوم الموعود.

تلقى الأمور بأهل الرشد ما صلحت

فإن تولوا فبالأشرار تنقاد

كيف الرشاد إذا ما كنت في نفرٍ

لهم عن الرشد أغلال وأقياد

أعطوا غواتهم جهلاً وقادتهم

فكلهم في حبال الغي منقاد

حان الرحيل إلى قوم وإن بَعُدوا

فيهم صلاحُ لمرتادٍ وإرشاد

سلامٌ عليك جبلَ الثقافة السامق الذي تتحطم على جنباته أمواز الغزو الثقافي الذي كان بدهاقينه أن يطبق على خناق العامة، ويلف أهواء مثقفي الأمة إليه بحيله وأفانينه ومصطلحاته وأضاليله، تارةً باسم التنوير، وأخرى باسم العالم المتحضر أو قل) العالم المستوحش (أو باسم العالم الحر، وهي أسماء سموها ما أنزل الله بها من سلطان وما لها من أصلٍ في الحقيقة، ولكنها صيحات وطُرُّهاتُ يطلقها استعماريو الأمس واليوم، ويرددها أذنابهم وعملاؤهم، تلك التي أذاقت الناس الشر والوبال وأرهبتهم وسفكت دماءهم ونهبت ثرواتهم، وشجعت البغي والتطهير العرقي، وحمت الدكتاتوريات والظلمة وسُرَّاق الشعوب.

فإذا وجدت معك مكافحًا لهذا الغثاء، ومحاربًا لهذا الخبال

أفلا تَسرُ وتفرح وتسعد وتهنأ، وإذا فقدت سندك وعضدك في مواجهة هذا الزحف أفلا تحزن وتبتئس، وتجزع وترتعد.

هكذا كان سيد نوح.. الداعية المتفتح الذي يفهم عصره، ويعرف زمانه ويخبر عدوه، ويجاهد ضلاله وبهتانه، سلامٌ عليك سلامٌ عليك.

سلامٌ عليك مبكي الجموع على حال المسلمين، وموجه الجماهير إلى الطريق المستقيم، في زمانٍ نادى في الدم المسفوح، والأشلاء المتناثرة الهلكى وما يسمعها أحد، وصاح فيه الشيخ الواهن فلم يجبْه إنس، وبكى الصبي البائس المقروح، وندبت فيه الأسيرة المنهوكة الهلكى فما يلبيها مسلم، نادوا بحقِّ الدم، بحقِّ القربى، بحقِّ الإنسانية، بحقِّ الدين، بحقِّ محمد، وربِّ محمد، بحقِّ الله الأعظم، نادوا وإسلاماه، فما أسمعوا أحدًا وما تحرَّك قلبٌ؟!!

لقد كان فقيدنا الدكتور السيد نوح يتمزق كمسلم غيور، وداعية مخلص من كمدٍ، ويتفطر قلبه من حسرة، وتتقرح كبده من لوعةٍ لما آلت إليه حال الأمة، وكان ينادي مع المخلصين، يا أهل القرار، وأصحاب أمانة الحكم، وأصحاب الفخامة والجلالة والمعالي، والمهابة والعزة، فما كان يُسْمَعُ لمخلص نداءٌ ولا لقصيرٍ أمرٌ، ولكنه ما كان ليأس، ويقول حسبنا أن تتيقظ الشعوب، ولا تيأس الأمة من الإصلاح.

فها أنت اليوم قد ودعتنا والحمل ثقيل والطريق وعرة والكفاح مرير والحرب ضروس، ولكن يكفيك ما قدمت لتضرب المثل لأمة تنهض إن شاء الله وتحفظ الود والعهد وإن روَّعها الأسى وانتحب المخلصون لفراقك.

لـــو أن أوطـــانًـــا تُـــصَـــوَّرُ هـيـكـلاً

دفـنـــوك بـــين جـــوانـــح الأوطـــان

أو كـــان يُـخـمَـلُ فـي الجـوانـح مـيـتٌ

حـمـلـوك فـي الأسـمـاع والأجـفـان

سلامٌ عليك من قلوبٍ تفطَّرت لفراقك؛ لأنها تعرف قدرك، ومن مُهَجٍ إلتاعت لرحيلك لأنها آخت معك وسعدت بقربك.

سلامٌ عليك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقًا.

سلامٌ عليك ورحمة الله وبركاته.. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أ.د. توفيق الواعي

رحمك الله أيها الشيخ الجليل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وهكذا يمضي الدعاة إلى ربهم واحدا تلو الآخر، عاشوا لدينهم مضحين بدنياهم، عاشوا للآخرين، وماتوا كبارا آمنين من الفزع الأكبر إن شاء الله تعالى يوم القيامة، وها هو أحدهم الأستاذ الدكتور/ سيد نوح يلقي الله يوم الاثنين ١٦رجب١٤٢٨هـ الموافق: ٢٠٠٧/٧/٣٠م بعد الفجر في الكويت في مستشفى ثنيان الغانم بعد أشهر من عودته من العلاج في الصين وهذا قدر الله ولا راد لقدره.

لقد أحببت هذا الشيخ العالم لما له من أسلوب دعوي جذاب، وأشهد له بالإخلاص والتفاني والمنقطع النظير في الدعوة إلى الله تعالى، فقد تعرفت عليه أول مرة من قراءتي لكتابه آفات على الطريق فقد أحسست برأفة ورحمة قلبه على الدعاة إلى الله تعالى. ثم تعرفت عليه ثانية وعيانا في دولة الإمارات الحبيبة أثناء فترة الغزو العراقي البعثي على دولة الكويت. ثم تعرفت عليه ثالثة وعن كثب حين انتقاله للتدريس في كلية الشريعة بدولة الكويت. والتحمت به كثيراً حين إشرافه على أطروحتي لنيل الدكتوراه. فقد كان نعم المشرف والموجه

والناصح والداعية المتميز.

إن السيد محمد نوح من أعلام عصرنا الحاضر عاش مجاهداً وصابراً مبايعاً لإخوانه ومطيعاً لهم لم يتخلف عن ركب الدعاة قيد أنملة. وكان محباً للناس ودعوتهم إلى الإسلام داعياً لإصلاح الفرد والبيت والمجتمع. لا يرد طلباً لموعظة أو درس. ولا تجد له وقتاً لذاته ولأسرته. وكل وقته لبذل العلم والتدريس والكتابة والوعظ والمحاضرات وإجابة الأسئلة والإشراف على الرسائل العلمية والدراسات العليا والتأليف والكتابة الصحفية والخطابة.

وقد كان خطيباً مفوهاً، قد خصصت له وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية (مسجد الوزان) في منطقة حولي في الكويت ليخطب به يوم الجمعة. وقد كان المسجد يمتلأ عن بكرة أبيه بالمصلين قبل وقت الخطبة انتظاراً إلى خطبته المحببة إلى نفوسهم لما تحتويه من علم غزير.

وكانت خطبه رحمه الله متسلسلة منطقياً مسندة بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة ذات طابع دعوي جماهيري داعية لوحدة الأمة، وحتمية انتصارها حاثاً المصلين على الالتزام بالدعوة إلى الله تعالى وجماعة المسلمين والصبر مع الذين يدعون ربهم بالغدات والعشي يريدون وجه الله تعالى. كما كانت تدعو إلى مناصرة ودعم كل ما من شأنه تحرير

المسجد الأقصى وجميع البلاد الإسلامية المحتلة خاصة فلسطين.

كان يرحمه الله كاتباً مبرزاً في الدعوة إلى الله تعالى فقد آل على نفسه الكتابة في تحليل المشاكل والآفات التي تعتري طريق الدعاة وإيجاد الحلول لها.

ومن هذه الآفات التي كتب عنها (الفتور، ضعف الالتزام، العزلة، الاستعجال، الإعجاب، التكبر، قصر النظر، التطبيق بالعمل اليوم والليلة، سوء الظن، عدم التثبت والتبين، الغيبة، الغلو بالدين، القعود، الشح، إلخ)، ونشر كل ذلك في ٣ مجلدات تحت عنوان (آفات على الطريق)، وفي مجلة المجتمع.

وقد بدأ رحمه الله بكتابة سلسلة مقالات جديدة في مجلة المجتمع تحت عنوان (من فقه التاريخ وأحداثه) إلى أن وافته المنية.

ولئن فقدناك أيها الشيخ الجليل فلن نفقد آثارك الباقية التي خلفتها من كتابات وأبناء صالحين وعلم نافع وآلاف ممن كانوا يستمعون إلى خطبك ودروسك متأثرين بك سائرين على طريقك إن شاء الله. رحم الله الشيخ سيد نوح رحمة واسعة، وعوض الله أمة الإسلام عنه خير عوض وجعلنا متبعين لخطاه صابرين ثابتين ومضحين لدعوته داعين الله لأهله وذويه بالصبر والسلوان وله بالمغفرة وأن يضاعف حسناته ويتجاوز

عن سيئاته ويدخله فسيح جناته في الفردوس الأعلى مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وأن يجمعنا به في مستقر رحمته مع إخوانه المسلمين، ومحبيه الأكرمين.

إنا لله وإنا إليه راجعون.

الدكتور عبدالله سليمان العتيقي

أمين سر جمعية الإصلاح الاجتماعي

الشيخ المربي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد،،

فهذه كلمات أسطرها في حق أستاذنا وشيخنا العالم العلاّمة السيد النقي الصالح الأستاذ الدكتور: السيد محمد السيد نوح رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، فقد صاحبته عشر سنين في العمل في كلية الشريعة وفي ميادين الدعوة، فكان نعم الأخ والأب والمعلم والقدوة والشيخ والمربي والموجه والداعية والمؤدب ومازال يزداد رفعة وعلواً وهمة.

ونشاطاً حتى ابتلاه الله بالمرض رفعاً لدرجته ثم الوفاة ولعلي شرفت في هذه الصحبة وازددت بها رفعة وقدراً . فرحم الله الشيخ واسكنه فسيح جناته.

د. طارق الطواري

الأستاذ بكلية الشريعة

عالم رباني فقدناه

لم تمنع حرارة يوم ٣٠ يوليو ٢٠٠٧م، والتي تجاوزت الخمسين درجة مئوية، آلاف المحبين من جميع الجنسيات من التوافد على مقبرة الصليبخات لتوديع العالم الرباني الدكتور السيد نوح، بعد أن غادرنا يوم الإثنين ٣٠-٧-٢٠٠٧م بعد مرض عضال لم يغير من أخلاقه العالية، وسمته الذي يشبه سمت التابعين، رضي الله عنهم.

فقد زرته في المستشفى قبل وفاته بعشرة أيام، فوجدته راقداً على سرير المرض في مستشفى ثنيان الغانم، وقد مُنعنا من الدخول عليه، ففتحوا الباب، وإذا بالمرض قد أخذ الكثير من وزنه، وبالرغم من كثرة الأسلاك الموصلة بجسده، إلا أن الابتسامة لم تفارقه، فرفع يده إلي مسلماً علي، وابتسامة الإيمان تملأ وجهه الراضي بما كتب الله له..

لقد تعرفت على د. السيد نوح في دولة الإمارات منذ ما يقارب خمس عشرة سنة أو يزيد، وكان لقاءً مشتركاً في محاضرة، ومنذ تلك اللحظة أيقنت أنني أمام عالم رباني يختلف تماماً عن الكثير من علماء هذا العصر، ففي تلك المحاضرة سلم علي بحرارة، وكأنه يعرفني منذ عشرات السنين، وفاجأني حينها بعبارة تدل على تواضع عظيم، عندما قال لي: "أنا أستفيد

من كتبكم" فقلت : أستغفر الله. من أنا يا شيخ حتى تستفيد من كتبي!.. لم يقل ذلك مجاملة، بل قالها متجرداً من الألقاب والشهرة، والعلم، قالها لأن الفقيه الحق هو من تواضع للآخرين عن قدرة. فقد خرج الحسن البصري مع صاحبين له يتذاكرون التواضع فقال لهما: وهل تدرون ما التواضع؟ التواضع أن تخرج من منزلك فلا تلق مسلماً إلا رأيت له عليك فضلاً.

كان يرحمه الله صاحب همة عالية، فلا تكاد تراه إلا وهو في شغل للدعوة إلى الله، ما بين خطبة جمعة أو درس في مسجد، أو حلقة علم يديرها، أو إصلاح بين الناس، أو قراءة، أو بحث ينفع به المسلمين أو سفر لنشر دعوة الله تعالى، حتى بعدما ذهب إلى الصين لزرع كبد جديد، وعودته للكويت، ما إن رأى من نفسه شيئاً من العافية حتى نفض الغطاء عن جسده الواهن، وانطلق إلى مسجده وحلقته وطلبته ينير لهم طريق الحق..

قد ترى الكثير من الناس في حالات متعددة بين الابتسامة والعبوس، أو بين الضحك والبكاء، أو بين السخط والرضا، ولكنني لم أر د. السيد نوح يرحمه الله، ولم ألقه يوماً من الأيام إلا والابتسامة تملأ محياه، حتى في مرض الموت لم تفارقه الابتسامة، وكان إذا سأله أحد وهو في مرضه عن صحته، يقول: "بخير.. الحمد لله".

لقد كان يرحمه الله سريع الدمعة، غزير العبرة، شديد التأثر

بكتاب الله تعالى، يقول أحد الذين صلوا يوماً بجانبه، لقد سمعته يبكي بكاءً شديداً عندما قرأ الإمام، ولم يتوقف أبداً من البكاء، حتى انتهت الصلاة، وطلبوا منه أن يقول خاطرة، فقام أمام الناس، وقال: "لا كلام بعد كلام الله، ولا موعظة بعد مواعظ الله". ثم انصرف، واكتفى بهذه الموعظة.

كنت نقلت له عتاب بعض الإخوة علي لاختصاري لبعض المعاني في كتبي الدعوية، رد علي يرحمه الله أنت اختصر ونحن نفصل.. ومن قرأ كتبه حقاً يستمتع بذلك التفصيل غير الممل، والمليء بالعلم، فقد أثرى المكتبة الإسلامية بمجموعة من أروع الكتب في السلوك والدعوة.. منها كتاب "زاد على الطريق"، وكتاب "آفات على الطريق" وكتاب "توجيهات نبوية" والذي يلمس فيه القارئ غزارة العلم، من خلال فهم عميق للأحاديث النبوية، كيف لا وهو المتخصص في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ؟

كان رحمه الله ورضي عنه إذا تحدث في محاضرة أو خطبة، يظن السامع أن المصحف مفتوح أمام عينيه، يختار ما يشاء من الاستشهادات القرآنية دونما تلعثم أو نسيان، بل بسهولة وسرعة بديهة..

وكان المحتك به يحس كأنه تابعي

جاء من ذلك الجيل وعاش بيننا..

إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع.. ولكن لا نقول إلا ما يرضى ربنا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ وإنا لفراقك يا سيد لمحزونون.

وكما يقول أبو فراس الحمداني:

لا بد من فقد ومن فاقد

هيهات ما في الناس من خالد

نسأل الله أن يرحم فقيد الأمة الإسلامية رحمة واسعة. وأن يعيننا على الصبر والسلوان، وأن يلهم ذويه الصبر والاحتساب، وأن ينفعنا بعلمه الذي تركه، وأخلاقه التي ربت جيلاً من الأتباع والمحبين.. وأن يجمعنا وإياه على سرر متقابلين في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

الشيخ عبدالحميد البلالي

شيخ الإسلام

هو ذلك الرجل المحب لدينه، المنتصر لقضايا أمته، الذي جمع القلوب والأفئدة تحت راية واحدة هي راية الإسلام، لا حسب.

هو ذلك الجبل العالي، الذي ما تأخر لحظة عن أداء واجب الدعوة إلى الله، فكان إذا اعتلى المنبر أحسست أنه هو ذلك الغيور على العقيدة، وهو ذلك النهر الفياض الذي ملأ حقل الدعوة إلى الله بمفاهيم كانت غائبة عن وعي وإدراك الكثير، مفاهيم الأخوة في الله، ومفاهيم الذب عن بيضة الإسلام ومقدساته، مما أحوج الساحة إلى رجل مثله، وهو ذلك الرجل الذي كان يخلع عمامته الجميلة لتكون حصالة خير من أجل الأقصى والقدس الشريف حقاً والله أننا في ساحة الدعوة إلى الله نشعر باليتم بعد فقده رحمه الله، إذا كان مسجد الوزان -رحمة الله على من بناه- شعلة تنير الطريق لكثير من الشباب فنرى ساحات المسجد ومواقف السيارات والطرقات تعج بالمصلين والمحبين، يا له من أمر رائع، فوالله طالما ذَكرنا دكتور سيد نوح بالأعلام ..... من المعاصرين الدعاة كأمثال عبدالحميد كشك والشيخ محمد الغزالي والشيخ حسن البنا رحمهم الله أجمعين وهم يواجهون الجمهور الغفير بأحلى

كلمات وأجمل العبارات.

إذا كنت أتكلم أنا شخصياً رياض عمشة إمام مسجد الوزان عن الدكتور سيد، فوالله مهما تكلمت فإن اللسان يعجز عن إيفائه حقه لكنها كلمات من القلب إلى رجل أذهلني شخصياً ليس بعلمه فقط بل والله بسلوكه وأخلاقه ومواقفه التي لا أجد لها مثيلاً في واقعنا المعاصر إلا من قله قليلة.

حق له وهو الذي تربى في أحضان الدعوة المباركة، وهذا ما كان له الفضل بعد فضل الله تعالى في صقل أخلاقه وإبداعه في مواجهة الناس حتى تعلقت محبته تلقائياً في قلوب الكثيرين.

فيا له من رجل تحتاجه الأمة مربياً وعالماً وداعياً، بعد هذا أطمأن محبيه أننا سنبقى نعيش مع تلك المبادئ التي غرسها فينا سيد نوح وهي تلك المبادئ المنتقاه من روح الإسلام. فلله دره ورحمة الله عليه.

الشيخ رياض جمال عمشة
إمام مسجد الوزان

واعجباً

أكتب إليكم هذه الكلمات في حق هذا الرجل الرباني الذي لا يراه أحد إلا وأحبه الشيخ والمربي السيد نوح رحمه الله تعالى. تقابلتُ مع الشيخ في مسجدي وكان إمام المسجد الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق فرأيتُ شيئاً عجيباً رأيت الشيخ السيد نوح يُسلم على الشيخ عبدالرحمن ويقبل رأسه وبادر الشيخ عبدالرحمن بالسلام عليه وتقبيل رأسه وقام الشيخ عبدالرحمن بتوصيل الشيخ السيد نوح حيث يريد فياليت كل العلماء يتعاملون فيما بينهم بهذه الروح الطيبة والأخلاق العالية.

واعجباه ورحم الله الفقيد وجعل الجنة مثواه

الشيخ محمود الشيمي

قارئ بالاذاعة

مُصلح البيوت والمجتمعات

بعد فجر الإثنين السادس عشر من رجب ١٤٢٨ه، الموافق ٣٠-٧-٢٠٠٧م، فاضت الروح إلى بارئها، إنها روح واحد من العلماء الربانيين والدعاة المتميزين، والخطباء المؤثرين.. فضيلة الشيخ الدكتور السيد نوح رحمه الله.

أساس الصلة: تجمعني بفضيلة الشيخ السيد نوح رحمه الله عدة صلات، صلة مسقط الرأس، فنحن ولدنا في بلد واحد، وقرب التخصص، فهو أستاذ في العلوم الشرعية، وتخصصي أنا في طرق تدريس العلوم الشرعية، بالإضافة إلى النسب الذي بيننا، حيث يجمعنا نسب وأخوة في الإسلام، كما أنني أعتز بأنني واحد من تلاميذه الذين تعلموا من كتبه وأحاديثه.

بداية التعارف

أذكر أن بداية معرفتي بفضيلته رحمه الله وقعت عندما كنت أتجول في معرض الكتاب الدولي بالقاهرة، ووقعت عيناي على كتابيه: "آفات على الطريق"، و"توجيهات نبوية"، وما إن تجولت فيهما بالقراءة الواعية حتى شعرت بأنه ليس مؤلفاً عادياً، ولا مجرد عالم يسرد العلم سرداً، بل تحس بكلماته تحرك فيك القلب والجوارح، وتلحظ أنه مربٌ حكيم، واعٍ فاهم لرسالته، وماهر في تبليغها، متمكن من تحقيق أهدافها،

فأقبلت نهماً على القراءة له، متمنياً أن أرى هذا الشخص الكريم المؤثر، وقد تحققت أمنيتي عندما جئت دولة الكويت الشقيقة عام ١٩٩٨م، لأعمل بها أستاذاً مساعداً بكلية التربية الأساسية، فوجدت الشيخ ملء السمع والبصر لدى الجميع، سواء أكانوا من المواطنين الكويتيين أم من الوافدين على اختلاف جنسياتهم وأجناسهم وأعمارهم وثقافاتهم، يسمعه الجميع ويشاهدونه في المساجد وعلى شاشات التلفاز ويسمعونه في إذاعة القرآن الكريم، وفي الفنادق، وفي مناسبات خاصة بالسفارة المصرية، وحملات الحج... والكل يتوق لرؤياه والاستماع إليه؛ على اختلاف مستوياتهم الثقافية والفكرية، حتى إن كثيراً من الحجيج يسألون عنه في أي حملة حج سيكون، ثم يبادرون بالالتحاق بها؛ رغبة في صحبته وعلمه.

ودعناك أستاذنا وبكيناك معلماً ومربياً، بل إن كل شيء عرفك بكاك.. في الليلة التي ودعتنا فيها وأنت ترقد بالمستشفى في غيبوبة كنت أصلي في مسجدك صلاتي المغرب والعشاء، وبحكم وجودي في المكان، خلُتُ المسجد حزيناً يبكيك، ووجدت قدميَّ تقوداننى إلى منبرك الذي طالما ارتقيته مرشداً ومربياً ناصحاً وداعياً، لا تخشى في الله لومة لائم، فرأيتُ منبرك حزيناً لفراقك، كأنه يسبح بحمد ربه، ويسترجع ذكرياته

معك، محتسبك عند الله، وهو يردد قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ (الأحزاب).

الدعاة يا سيدي كثيرون لكن قليلاً منهم يقول الحق، وقد وفقك ربك وكنت من هؤلاء القليلين.. والعلماء كثيرون، بيد أن العاملين منهم قليل، وقد كنت عالماً عاملاً، وقدوة لمن يستمع إليك أو يراك، فقد كان يكفيني أن أنظر في وجهك فأقرأ تاريخاً طويلاً مباركاً من العمل، وعطاء ممتداً لدينك وأمتك ومريديك وطلابك، فكنت أراني وإياك عندما أنظر إلى وجهك كواحد من السلف كان يقول: "كنا ننظر في وجه محمد بن واسع فنظل نعمل بها شهراً"!! لقد كان يكفي جليسك سيدي أن ينظر في هذا الوجه الذي ابتُلي صاحبه في صحته، ومع ذلك كان يتحرك لدعوته، ويؤدي رسالته بهمةٍ عالية، وعزيمة فولاذية.

مررت بمركبتك التي طالما دبَّتْ في الأرض سعياً لإرضاء ربك وتبليغ رسالة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإصلاحاً للأفراد والبيوت والمجتمع، فكأني رأيتها حزينة تشكو فراقك وتئن، كانت دائماً تدب في الخير، وهي الآن لا تدري من الذي يخلفها من بعدك، وإلى أين يقودها.

بكتك أعينُ المحبين وما أكثرهم القوي منهم والضعيف، الغني

منهم والفقير، المثقف منهم والعامي.. كنت أنظر في أعينهم فأجد دموع الفراق، ولسان حالهم يقول: هل انتهى عهدنا برؤية الشيخ والاستماع إليه، هل غاض هذا الفيض! فكنت أردد في نفسي وأقول لهم: لا، لقد فارقنا جسدُ الشيخ نعم، لكنه باق بيننا بعلمه، وخلقه، وهمته، وعزيمته، وصلاحه، وإخلاصه، وإتقانه، وذريته الصالحة الطيبة، وحبه للناس، وحب الناس له، نحسبه كذلك، والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحداً.

نموذج في التسامح: أشهد ذات مرة أن حاوره أحد المسلمين في قضية شرعية، واختلف مع الشيخ واحتد عليه، وبعد صبر طويل من الشيخ ارتفع صوته على هذا المحاور، وفي اليوم التالي قابلت الشيخ، وعلى استحياء وأدب قلت له: أعرف حسب علمي أنك على حق، وأنك غيور على هذا الحق، ولقد شهدت حلمك وتسامحك في هذا الموقف، بيد أن لي طلباً عندك، فقال متواضعاً مبتسماً بتبسمه الرقيق المشرق الحاني: اؤمرني، قلت له: عفواً أستاذي الكريم، أرى أنك أنت الأكبر والأوسع علماً وحلماً، وربما شعر محاورك بالقهر برغم خطئه، لكن من باب تطييب النفوس، وجبر الكسور، أرى أن تزوره في بيته "وخيرهما الذي يبدأ بالسلام"، وأشهد الله أنه لم يعلق معترضاً، ولم يناقشني، ولم يتلفظ إلا بكلمة "حاضر"، والليلة بإذن الله، وبالفعل زار محاوره، وكان الأثر عظيماً.

لقد كنت سيدي محبوباً حباً جماً من جموع المصلين، وسائر المسلمين، وعندما كنت ألمس هذا الحب كنت أرى فيك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم متجسداً في حب الناس لك، فقد جاء في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا أحب الله العبد نادى: يا جبرائيل، إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبرائيل، ثم ينادي جبرائيل في السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض" (رواه البخاري ومسلم).

كم شرفت بمصاحبتك شيخي الجليل في الصلح بين زوجين، أو بين متخاصمين، وكم نهلت من حكمتك ومعالجتك للأمور.. وأذكر مرة عندما عجزتُ عن الإصلاح بين شاب وفتاة عقدا واقترب دخولهما، فقلت أستعين بالله ثم بإخلاص هذا الشيخ وحكمته، فلما جلس قال للفتى في دعابة: اسمع، لقد كان الإمام أبو زهرة رحمه الله عندما يأتي قريتنا.. يهرول الناس إليه، ليصلح بين الزوجين والمتخاصمين، فكان عندما يصلح بين زوجين يقول للرجل: أنت القائد، وأنت القيّم، هذه المرة وفقنا الله وأصلحنا بينكما، فإذا لم تستقم وتمسك عليك زوجك فلن أصلح بينكما في المرة القادمة!!

وسبحان ربي! بعد سنتين من الاختلافات والمناوشات وبعد إنفاق وقت طويل وجهد مرير شاء الله تعالى أن يتحقق الصلح

على يد الشيخ رحمه الله وقد تزوج الشاب والفتاة، ورُزقا الذرية، ويعيشان الآن في سعادة!!

سعدت بصحبة الشيخ، وحججت معه منذ أعوام، كانت معي والدتي رحمها الله وزوجتي بارك الله لي فيها، وكان الشيخ هو المرشد الديني للحملة، فرأيت فيه مرشداً يتميز عن سائر المرشدين، رأيته يحقق القدوة كما ينبغي أن تكون، فهو آخر من يأكل بعد أن يطمئن على جميع الحجيج، ويتأكد من أنهم تناولوا طعامهم، وهو آخر من يرتقي الحافلة عند التنقل من مكان إلى آخر، لأداء المناسك، وهو المواسي لكل فرد إذا ألمَّ به مكروه، وهو الذي ترتاح إليه الأسماع والقلوب والعقول، وهو الذي يهوى إليه العاصي ويستنصحه... ويستشيره، والطائع يستعلمه ويستزيده.

ولا أنسى آخر يوم ونحن في طريقنا من مكة إلى جدة، لنركب الطائرة عائدين إلى دولة الكويت الحبيبة، والشيخ يصر على ألا يغادر مقر الحملة إلا بعد أن يطمئن على أن جميع الحجيج قد ركبوا الحافلات إلى جدة، وقد أسر بروحه هذه القلوب، حتى إن والدتي رحمها الله عادت إلى مصر بعد الحج، فكنت كلما هاتفتها أو رأيتها، تسألني عن الشيخ رحمه الله، وتدعو له، وترسل إليه أزكى السلامات، وأطيب التحيات.

أذكر أنه كلما قابلني كان يسألني عن أهلي وأولادي، ويسميهم

واحداً وحداً، ويوصيني بهم خيراً، وكثيراً ما كان يوصيني بابني الأوسط "عمر" لأنه ضعيف البنية، فيقول لي: اهتم به، ثم لا ينسى أن يوصيني خيراً بهم جميعاً فرداً فرداً!!

كان شيخنا الكريم معطاء في مشاعره وعواطفه الدفاقة، فلقد مرضتُ منذ عامين مرضاً أقعدني عشرة أيام على فراش المرض، فكان يعودني بشكل شبه يومي، لا يزورني زيارة عابرة عادية من باب تسديد الخانات كما يقولون ولكن يجلس ويرقيني، وسبحان الله! كنت أشعر براحة تسري في جسدي، تزيل عني ألمي كلما وضع يده النقية المباركة الطاهرة المتوضئة على مكان الألم، وكان في صدارة المبادرين بالمواساة في فقد حبيب أو عند أي ابتلاء، حيث يقترب عندما تكون الحاجة، ويلبي في غير طلب.

لقد جمعني عمل تربوي علمي مع أحد الإخوة أساتذة الجامعة الكويتيين في مكتبه الاستشاري، وجاءت سيرة الشيخ، فقال لي: ثلاثة أثروا تأثيراً إيجابياً قوياً في المجتمع الكويتي: الشيخ الدكتور السيد نوح هو أحد هؤلاء الثلاثة.

لقد رأيت الشيخ يحمل على سيارته لليتامى والأرامل طعامهم وأغراضهم، ويصر إصراراً في أحلك ظروفه المرضية، قبل زراعة الكبد وبعدها على أن يحمل إليهم بنفسه، وبرغم مرضه، كانت لديه دربة في حمل الأغراض حتى لو ثقلت.

كأني باليتامى والأرامل والثكالى يبكون لفقدانك، فقد كنت رحيماً بهم، في هذه الحياة، حريصاً على توصيل قوتهم وأغراضهم وهم في عزة، مراعياً نفوسهم، فجزاك الله عن الجميع خير الجزاء.

من المواقف التي تجسد تواضع الشيخ رحمه الله، وتندر أن تحدث من شخص إلا إذا رُزق شفافية عجيبة، أنه ذات مرة بعد أن فرغ من الصلاة، والتف حوله المصلون يسلمون عليه، إذا به يداعب أحد هؤلاء المصلين، وكان هذا الرجل قد ظهر عليه الخجل، فاقترب الشيخ منه وهو يداعبه قائلاً: لماذا تخجل وأنت سيدي وسيد أبي؟! لقد كنت أعمل أنا وأبي عندكم في مزرعتكم وقد كنتم تكرموننا وتطعموننا!! ارفع رأسك فأنت سيدي!!

قد يرى بعض الناس أن في ذلك انكساراً من الشيخ غير مرغوب فيه، لكن المربين هم الذين يفقهون هذا الأسلوب التربوي، إن الشيخ يرحمه الله يقتفي أثر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما حدثته نفسه بأنه أمير المؤمنين، فأراد أن يؤدبها، فأمر بجمع المسلمين، ليخطب فيهم، فلما خطب قال كلمات معدودات: "أيها الناس إني رجل كنت أعمل عند آل الخطاب بطعامي" فتعجب عبدالله بن عمر من قول أبيه، وعاتبه قائلاً: يا أبت، ما زدت نفسك إلا تحقيراً! فقال له: يا

بني، حدثتني نفسي بأنني أمير المؤمنين، فأردت أن أؤدبها!

لقد فهمت أن الشيخ في مقام يجله الناس، ويكبرونه وقد التف الجميع حوله، وهو المربي الطبيب الحاذق بعلاج الآفات، فأراد أن يقي نفسه من آفة التهمت كثيراً من العلماء والدعاة، فأعلنها، ليس على هذا الشاب فقط الذي كان يكلمه، ولكن على كل مريد ليقول لهم: هذا هو السيد نوح الذي تقدرونه حتى لا يعظمه أحدكم.

رحمك الله يا سيدنا، وطبت حياً وميتاً يا من نلت من اسمك نصيباً أوفر، وجعل أهلك وولدك وطلابك خير خلف لخير سلف.

أسأل الله تعالى كما جمعنا بك في الدنيا، أن يجمعنا بك في الفردوس الأعلى.

د.سمير يونس

أستاذ المناهج وأساليب التربية الاسلامية المساعد

قبل أن أتحدث عن هذا العنوان استأذن القارئ أن أقدم له بمقدمات أراها ضرورية حتى لو طالت بعض الشيء؛ أولى هذه المقدمات أنني الآن أكتب شاهداً على وقائع، ومقرراً لحقائق؛ وأهدف من كل هذا أن أرسل رسالة إلى من يعرفون الفقيد ومن لا يعرفونه، والرسالة للأولين تعني أنهم إنما يعرفون عنه القليل القليل، وإن كان في هذا القليل نموذج للقدوة والاعتبار.

أما الذين يجهلونه فالرسالة إليهم تعني إعلامهم بجزء مهم من تاريخ الأمة المعاصر بدا فيه د. السيد نوح، كما بدا فيه أعلام قبله، مؤسساً لعمل يصب في قناة نهضة الأمة، والرسالة تعني أننا نخسر كثيراً حين لا نفيد من جهود أصحاب المشروعات الحضارية في تاريخنا. فلست من المداحين، ولكني وآمل أن أكون أذكّر، والذكرى تنفع المؤمنين.

ثانياً؛ كيف عرفت الدكتور سيد نوح؟ بداية أقرر أني لم أره مشاهدة إلا في الكويت، وفي مسجد الجامعة على وجه التحديد، وإن كنت قد سمعت عنه في مصر، سمعت عن دورسه في مصطلح الحديث وعن حركته النشطة في الدعوة إلى الله، وربما قرأت له بعض ما كتب.

وبدأت المعرفة من تقديمي أوراقاً للعمل أستاذاً بجامعة الكويت بكلية الشريعة. وحين عُرضت الأوراق على مجلس الكلية قال في حقي كلاماً طيباً جزاه الله خيراً ثم كلف من يتصل بي ليخبرني بقبول أوراقي للعمل بجامعة الكويت. وعجبت: هل يعرفني؟ أم أن هذا الرجل من شيمه أن يشهد الحق ويسعى في مصالح الناس؟

وظل السؤال يراودني حتى التقيته في مسجد الجامعة بالشويخ، سلم علي ثم قال لي في أدب العلماء: "أخوك سيد نوح، وسنلتقي إن شاء الله".

وذات يوم دعا عدداً من زملائه على غداء على شرفي. وفي بيته الكريم أخبرني أنه كان يعرفني قبل أن يراني، لأن شيخنا الذي تتلمذنا عليه كان واحداً، وهو المرحوم الدكتور إبراهيم خميس. وقلت له: كذلك أنا أعرفك مما سمعته عنك.

الغريب أن هذا العلم التمهيدي والسابق عند كلينا كان من أسباب توثق العرى بيننا، وكانت رحلة السنوات السبع من عام ٢٠٠٠ حتى عام ٢٠٠٧.

ثالثاً: الدكتور سيد نوح حبيب إلى الكويت: ذلك أني جئت إلى الكويت من جامعة قطر، وكنت معاراً لها، وأكرمني الناس في الكويت، واستقبلتني كلية الشريعة أكرم استقبال، لكن

الغريب أني فكرت في العودة إلى قطر، دون أسباب.وحين قلت للدكتور سيد هذا الأمر، قال: اصبر أنا أعلم أنك كنت على صلة خاصة ببعض من في قطر، وأنا أعرف أنك تريد مجالاً للعمل والدعوة، وأنت لا تزال تشعر بغربة، ولكن اصبر، ستجد كل ما تريد في هذا البلد الطيب.

وصبرت حتى جاء شهر رمضان، وحرك فيّ الكامن فعملت معه في مسجد الشويخ حيث يؤدي صلاة التراويح بكلمات ومحاضرات.

وفي آخر الشهر قال لي: ايه رأيك؟ تترك الكويت؟ ثم أردف: أخي نحن أحببناك، وأنا على يقين أنك أحببتنا، وأنك كذلك أحببت الكويت لما فيه من سعة ومجالات للخير عامة والدعوة خاصة.

قلت له: نعم، ويشهد الله أني أحببت الكويت لما ذكر لي، ولما وجدته من أسباب.

أخي القارئ: عذراً قد أطلت عليك ولكن أردتك شريكاً لي في مشاعري، وإن كنت سأتناول موضوعي بكثير من العقل وعاطفة لا أملك الفكاك منها.

ودعنا الراحل الكريم يوم الاثنين ١٦رجب ١٤٢٨ه الموافق ٢٠٠٧/٧/٣٠ م ووارينا جثمانه الطاهر التراب، وعدنا تاركين إياه إلى ما عمل، و نحسبه ولا نزكيه على الله ينعم في قبره،

ويرى مقعده من الجنة. إذن عدنا من غير جسد سيد نوح ومن غير جبته وعمامته، وابتسامته التي ما كانت تفارقه حتى في أقسى أيام مرضه، عدنا وفي ذهننا وهذا هو الواقع أننا لن نرى السيد نوح يهز أعواد المنابر، ويجري هنا وهناك لقضاء حوائج الناس، لن نراه بين طلابه وطالباته، لن نراه يملأ الجمعيات دروساً في العلم الشرعي.

باختصار شديد، هذه الصفحة الجسدية، والوجود المادي قد طويت، بشكلها الذي أشرنا إليه، لكن قليلاً من التعقل يؤدي بنا إلى أن هذه الصفحة التي طويت أذنت بتذكر صفحات كثيرة، آن الأوان للحديث عنها وقراءتها؛ للدرس والاعتبار. وفتح هذه الصفحات والحديث عنها أمر شرعي وعقلي في آن واحد. أما أنه شرعي فلأنه وفق الحديث الذي معناه:

"إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له". ونحسب ولا نزكي على الله أحداً أن الراحل الكريم ترك امتداد صفحته التي طويت.

وأما أنه عقلي فلأن الصفحات التي سنشير إلى بعضها ولدت في الصفحة التي طويت، فحركته ونشاطه، وعلمه وكل عمله خطت الصفحات التي ينبغي أن تُقرأ ليكون سيد نوح رمزاً للعالم العامل ينضم إلى ركب كبير من هذا النوع، ليكون أمام شبابنا حركة حية في نهضة الأمة، وهاأنذا أشير إلى إحدى

هذه الصفحات وهي:

صفحة حبة للعلم وخدمته له:

١- أن العلم طريق الدعوة ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (النحل)، و"العلماء ورثة الأنبياء". و"فاقد الشيء لا يعطيه".

٢- أن العلم طريق النهضة والعمل وعمارة الحياة

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ (الإسراء٣٦)، والحديث "إنما العلم للعمل".

٣- أن العلم طريق إلى الجنة "من سلك طريقا يلتمس فيه علماً يسر الله له طريقاً إلى الجنة".

٤- أن العلم طريق إلى الاستقرار والأمن وزيادة اليقين ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ (آل عمران) ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ (فصلت٥٣). وكنت أفهم من حديثه معي أو أمامي أنه يطبق "من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم".

أما مظاهر هذا الحب فقد تجلت في:

أ- اهتمامه بالعلم للتكوين.

ب- اهتمامه بالعلم للتخصص.

والأول كان يتجلى في تدريسه لطلابه داخل الجامعة وخارجها، وكان يقول لي دائماً: نحن لا نريد أن نخرج موظفاً يعمل في دائرة حكومية أو خاصة، نحن نريد أن نكوّن عقلاً مسلماً يخدم دينه ووطنه أينما كان.

وكان رحمه الله يدرك أن تجربة العالم الإسلامي وعلمائه الماضين هي نقطة الانطلاق، فمن لا يعرف ماضيه لا يعرف ذاته، ومن لا يعرف ذاته يصاب بالانهيار أو بالانبهار، وعليه فليس من السهل عليه أن تكون لديه رؤية مستقبلية. لذا كان لا يدرس من أوراق ومذكرات، وإنما كان يدرس من كتب التراث. وكم رأيته وهو يحمل على صدره عدداً من المراجع في التفسير أو الحديث أو كتب التزكية، ولا يقبل أن يحملها عنه أحد.

وله في هذا الباب ذكر كثير يلهج به أبناء الشريعة، وأبناء وبنات الجمعيات الخيرية ومركز أعداد الدعاة.. وغيرها. ومع ذلك فقد كان متفهماً لظروف العصر، وناجحاً في ربط التراث بالواقع.

أما في جانب العلم التخصصي فقد كان يرحمه الله يدرك أن الريادة تحتاج إلى التخصص﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ (النساء٨٣)، ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾(النحل)، "أفرضكم زيد بن ثابت، وأقضاكم علي، وأقرؤكم عبدالله

بن مسعود". ولكم رأيته يراجع مع بعض طلاب الماجستير الدكتوراه بل وبعض زملائه في بحوثهم للترقية بحكم خبرته.

وهنا أشهد بما رأيت فاقول:

أولاً: لم يكن معظم هولاء الدارسين تحت إشرافه حتى يكون هذا واجباً عليه، بل كان كثيرون منهم يدرسون في جامعات أخرى. فإذا كان هذا ديدنه، فكيف كان مع دارسيه في كليته وجامعته؟

ثانياً: كان واسع الصدر مع هؤلاء جميعاً، حتى إن بعضهم كان يرهقه كثيراً فيصبر، ويرى أن من أدب العالم أن يصبر على طلابه، فهم امتداد له في خدمته للعلم والأمة.

ثالثاً: كنت أراه مهموماً بنقاط بحوث هؤلاء الدارسين، وكثيراً ما كان يتفضل علي ويشركني في استشارات منهجية. هذا فضلاً عن توفيره ما يمكنه من الكتب من مكتبته الخاصة لهؤلاء.

وبعد فهذه صفحة ينبغي أن تُقرأ في زمان قل فيه العطاء بحجة أو بأخرى. ولكن لأن الخير مركوز في أمة محمد ﷺ فإن من يقرأ هذه الصفحة لراحلنا وأمثاله قراءة واعية سيجد أن عليه واجباً شرعياً يجب القيام به، والله المستعان.

د. أبو اليزيد العجمي

أستاذ العقيدة في جامعة الكويت

كلمات وفاء وشكر

طلب مني أن اكتب كلمات هي ذكرى في حق هذا الإنسان وليس من الممكن أن أجد كلمات تعبر بصدق عن جوهر هذا الرجل.

ومثلما قال عليه الصلاة والسلام: «أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحد».

لقد كرس الدكتور سيد نوح حياته في غور هذا الدين والتعرف عليه والقيام بتعليمه لطلابه في الجامعة ولم يكتف بذلك وإنما انتقل إلى حلقات العلم ودروس الوعظ والمحاضرات والندوات وتأليف الكتب رغبة منه وإيماناً بنشر الدعوة والاهتمام بها.

لقد تعرفت عليه من خلال دروس الأربعاء التي كنا نلتقي بها معه حيث كنا نستزيد بعلمه الوافر والذي كنت أرى فيه من الوعي والنصح والإرشاد ما يجعل نفسي وروحي وبدني تسمو إلى القمم وترنو إلى أعالي الجنان.

كان هذا الرجل يبحث عن كل مسلم ومسلمة ممن هو في حاجة لبناء قواعد ثابتة راسخة لدينه تمثل له أولها حياة كريمة وآخرها جنة عرضها السماوات والأرض إن شاء الله.

لقد آمن هذا الرجل إيماناً قوياً برسول الإنسانية وشفيع الأمة والرحمة المهداة عليه ألف الصلاة والسلام فأخذ على عاتقه

وسلك في نهجه أن يبرز شمائل المصطفى وسيرته النبوية وأن يثابر على ذلك ويناضل من أجله في كل مناسبة وفي كل فرصة وكل ساحة وميدان.

لقد كان الدكتور سيد نوح ومازال نموذجاً يحتذى به في المثابرة على العلم الشرعي فلقد تعلمنا منه كيف نحب هذا العلم ونقدره وكيف نفتح أذرعنا للجميع فهنيئاً له بما قدم وهنيئاً لأرض الكويت التي تحضنه وتحتضن نفسه المطمئنة ((رحمك الله يا معلمنا الفاضل وأسكنك فسيح جناته، اللهم اغفر له وأكرم نزله واغسله بالماء والثلج والبرد وجازه بالحسنات إحساناً وبالسيئات عفواً وغفراناً حتى يلقاك وأنت راض عنه)).

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

أ. عبير عبدالرزاق السيد يوسف الرفاعي

مدرس مساعد - جامعة الكويت

الفصل الرابع

■ قالوا عنه

- د. حسين شحاته
- د. عصام العريان
- د. وليد الطبطبائي
- أ. عبدالله الحيدر
- أ. عبدالرحيم شلبي
- د. نادي درويش
- محمد موسى قاسم

.....

■ من أقوال طلابه

- فيصل الزامل
- محمد شومان
- يوسف نور الدين
- د. سعيد عبدالله
- عبادة نوح
- يوسف نوح
- السيد هاشم الرفاعي
- سعاد الجار الله

العالم العامل

اللهم بفضلك وكرمك أن تتغمد أخانا الدكتور سيد نوح برحمتك الواسعة ، وأن تتقبل منه علمه وعمله وجهاده وابتلاءاته وتضحياته في سبيل دعوتك وأن تجعلها في ميزان حسناته ،وأن تحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، فقد كان رحمه الله عالماً تقياً، وعاملاً مخلصاً، وداعياً ومجاهداً.

١- كان عالماً تقياً .

لقد مَنَّ الله على الدكتور سيد نوح بخصال العالم التقي الورع الصالح المتواضع الودود المحبوب ،فزاده الله تقوى وعلماً، يقول الله سبحانه وتعالى فيه وفي أمثاله: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ (سورة البقرة)

وكان عالماً متواضعاً ومثابراً في طلب العلم النافع لدينه ودنياه، ولدعوته ولطلابه، وكان مجتهداً في قضايا العصر في إطار الضوابط والثوابت ، والأصالة والمعاصرة، وكان يقبل الحوار والنقاش سعياً إلى الحق غير متعصب لمذهبه أو فكره، يقبل الرأي الآخر متى كانت أدلته لا تخالف القرآن والسنة .

٢- كان عالماً عاملاً.

حَمَلَ العلم وحَوَّله إلى عَمَلٍ فَعَّال منضبط بأحكام ومبادئ

الشريعة الإسلامية، كان يسير به بين طلابه في المدارس والجامعات وبين إخوانه في مواطن الدعوة، وبين أصحابه ومريديه في دور العبادة، وبين الناس جميعاً في كل قطر من أقطار الأمة الإسلامية، وكان نموذجاً وقدوة حسنة، يفعل ما يقول ابتغاء وجه الله تعالى مصداقاً لقوله تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ (سورة العصر).

حوَّل المفاهيم والمبادئ والقواعد الدعوية الإسلامية إلى برامج عمل بسبل وبوسائل معاصرة لإبراز عظمة دعوة الإسلام على أنها عقيدة وشريعة، وأقوال وأفعال، ومفاهيم وأعمال، يصدق فيه وفي أمثاله من العلماء العاملين المخلصين قول الله تبارك وتعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ سورة الأحزاب) وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً علمه ونشره، أو ولداً صالحاً تركه، أو مصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً بناه لابن السبيل، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته" (رواه ابن ماجه والبيهقي).

٣- كان عالماً مخلصاً.

لقد عَمِل بعلمه ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى بدوافع وحوافز وبواعث إيمانية ، مصداقاً لقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ (سورة البينة، الآية ٥) ، كان بعيداً عن المظهرية والمفاخرة والخُيلاء، لا يسعى لدنيا يصيبها تبعده عن طاعة الله عز وجل ، كان متواضعاً في نفسه ، وفي بيته ، وبين زملائه وإخوانه وأصدقائه ، يسمع وينصت ويقدر ويحترم الصغير والكبير عبادة لله وامتثالاً لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عَبدَ الله وعَمِل لله وأخلص لله - نحسبه كذلك - لم ينافق رئيساً ولا حاكماً، ولم يعبد ديناراً ولا درهماً - سَخَّرَ أمور الدنيا للآخرة، يصدق عليه قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٢٠٧ ﴾ (سورة البقرة).

لقد ابتُلى في سبيل إخلاصه لعلمه ولعمله ولدعوته كما ابتلى الأنبياء والدعاة، فصبر واحتسب ذلك عند الله عز وجل ، وكان يقول: أن الدعوة إلى الله لا يحدها زمان ولا مكان ونظل ندعو حتى ندخل القبر ونلقى الله ونحن في سبيل دعوته، فقد صدق ما عاهد الله عليه.

٤- كانت الدعوة الإسلامية شريكة حياته.

لقد حَمَلَ أمانة الدعوة الإسلامية وجاب بها في كل مكان مضحياً بكل عزيز لديه ، وكان لا يتردد عن قبول أي دعوة لمحاضرة أو لندوة أو لمؤتمر أو لمناصرة قضية من قضايا المسلمين المعاصرة، لقد ناصر قضية فلسطين وأفغانستان والشيشان والعراق.

٥- كان واصلاً لرحمه باراً لأهله.

كما كان واصلاً لرحمه باراً بهم مصداقاً لقوله تبارك وتعالى:﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾ (سورة الأنفال) كما كان جَوَّاداً وعطوفاً على الفقراء والمساكين وذوي الحاجات ولاسيما أهل قريته وبلدته ولذلك اكتسب حباً صادقاً من الجميع ولا سيما من تربى في وسطهم.

كما ربى أولاده التربية الإسلامية الصحيحة ليكونوا إن شاء الله خير خلف لخير سلف ينعم بدعائهم ، فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له" (رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح) ندعو الله أن يبارك له في أولاده ويرزقهم الصبر والثبات على نهجه ، ويكونوا ذرية صالحة بعضها من بعض.

٦- من ميراث الدكتور سيد نوح العلم النافع.

لقد ترك الدكتور سيد نوح علماً نافعاً يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وفي أمثاله من العلماء المخلصين: " ... إن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر " (رواه الترمذي) فلقد كان موسوعة علمية في الحديث والتربية والدعوة وفقه الجهاد .

وهذا العلم النافع سوف يظل ثوابه موصولاً إليه إلى يوم القيامة مصداقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له" (رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح).

٧- من حقه علينا أن نخلص له في الدعاء.

لقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من حقوق الميت الشرعية الصلاة عليه واتباع الجنازة والدعاء له ، فعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إذا صليتم على الميت فأخلصو له الدعاء » (أخرجه ابن ماجه) وقال : « أيما مسلم شهد له أربعة بالخير أدخله الله الجنة » (رواه البخاري) وقال صلى الله عليه وسلم « ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون فيه إلّا شفعوا » (رواه مسلم).

ورحل العالم الرباني

أصبحت وسائل الاتصال الحديثة تحمل إلينا كلَّ الأخبار سيئها وحسنها، ما يحزننا منها وما يفرحنا (وهو قليل).

فقد حملت رسالة نصية قصيرة (sms) من الكويت نبأ رحيل العالم الرباني والمحدِّث والمربِّي فضيلة الشيخ الدكتور السيد نوح.

عرفت الأخ الحبيب منذ أكثر من ثلاثين سنةً في شقة متواضعة للشيخ أحمد زكي، الذي عمل مديرًا سابقًا لمكتب المرحوم الإمام محمد الغزالي بحيٍّ متواضعٍ عشوائيٍّ، هو بولاق الدكرور (ضاحية من ضواحي الجيزة)، وكان يعدُّ وقتها لرسالته للدكتوراه أو الماجستير (لا أذكر).

وكانت آخر مرة لقيتُه فيها عندما زرتُه في مستشفى (دار الفؤاد) بمدينة ٦ أكتوبر بالجيزة مريضًا، ينتظر قرار السفر إلى الصين لإجراء جراحة عاجلة لزرع كبد، بعد أن تهرَّأ كبده، كان صابرًا محتسبًا راضيًا قانعًا بقضاء الله تعالى، لا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى، عينه تفيض بالحب والود لكل مَن يلقاه، خاصةً هؤلاء الأحباب الذين فرَّقت بينه وبينهم الديار، فقد تغرَّب في الإمارات العربية المتحدة ثم في الكويت لسنوات طالت جدًا، وعندما كنت ألقاه في أثناء تلك الغربة

وأحثُّه على العودة إلى مصر كان يبتسم ولا يردُّ، حتى عرفت أنه ينوء بأعباء كثيرة تستلزم بقاءَه بالخارج، وأنه لم يقصِّر أبدًا في خدمة دين الله تعالى، عالمًا ومحدثًا ومفسِّرًا ومربيًا وواعظًا وخطيبًا مفوَّهًا.

كنت ألقاه أسبوعيًا على صفحات المجتمع، ذلك المنبر الإسلامي الذي يجمع المحبِّين لدين الله والعاملين لدعوته والقائمين على نصرة قضايا المسلمين في العالم أجمع..

تخصص في الدروس التربوية، فكتب سلسلة (آفات على الطريق)، بفهم العالم الرباني، والمحقق والمحدث، والخبير النفسي بخفايا القلوب، كما كتب غيرها من البحوث والدراسات.

عندما سافر إلى الصين لإجراء الجراحة كانت قلوب محبيه وعارفي فضله وإخوانه تحيط به، بدعائهم الصاعد إلى السماء أن يكلِّل الله العملية بالنجاح، وأن يمنَّ عليه بالشفاء، وإن يعود كما كان، فارسَ حلبة الدعوة إلى الله، وقد استجاب الله دعاء بعض المخلصين، فعاد سالمًا معافًى، وكتَب في المجتمع قصتَه مع المرض والعلاج والجراحة والشفاء، فكانت قصتُه تصلح لأن تجسِّد في الأذهان الصبر والرضا والشكر.

كان الشيخ السيد نوح ابن المحلة الكبرى من دلتا مصر- الفلاح الذي درس بالأزهر الشريف- مثالاً للعالم الرباني المتواضع في

غير ذلّة، العفيف في غير غنى، الفقير إلى الله وحده، القويّ في الحق، الناصع الحجة عند الجدل، القدوة في التربية والسلوك الفصيح عند الخطابة، المنتصر عند المحجة، وعوضنا الله عنه خيرًا.

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلوا» أخرجه البخاري في صحيحه من غير موضع، ومسلم والنسائي والترمذي والإمام أحمد ابن حنبل وابن ماجة عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

وفي رواية أخرى مفسرة: "إن الله لا ينتزع العلم من الناس أن يعطيهم إياه، ولكن يذهب بالعلماء، كلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى يبقى من لا يعلم، فيضلوا ويضلوا».

وقال الحسن البصري رضي الله عنه: "موت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدُّها شيء ما طرد الليل والنهار».

أسأل الله أن يبقَى ذِكْرُ أخي الحبيب الشيخ السيد نوح ببقاء تلاميذه الذين أخذوا عنه، وأن يُجري الله عليه أجرَه في قبره بقدر ما يتم الانتفاع بعلمه؛ فإنه إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ينتفع به، وولد صالح يدعو له،

وصدقة جارية، أو كما جاء في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

رحمك الله يا أخانا الحبيب.. يا أبا محمد.. رحمةً واسعةً، وأفسح لك في قبرك، وجعله روضةً من رياض الجنة، وأسأله أن يريَك مقعدَك من الجنة، وأن يروِّحَ عنك.. عشتَ غريبًا ومتَّ غريبًا، فطوبى للغرباء.

د. عصام العريان

د. سيد نوح .. العالم الرباني

فجعنا يوم الاثنين الماضي بوفاة العالم الرباني الدكتور سيد نوح رحمه الله بعد صراع مرير مع المرض، نسأل الله له الرحمة ولأهله ومحبيه الصبر والسلوان.

وقد خلف الدكتور سيد نوح ثروة عظيمة ليست في المال وإنما في المؤلفات التي تمثل إضافة نوعية للمكتبة الإسلامية، حيث ألف في الحديث والدعوة وله مؤلفات فريدة في الأخلاق الظاهرة والباطنة وفي سلوك المسلم وفي أسباب النصر المعنوي وغيرها من المؤلفات الرائعة.

وكان الدكتور سيد نوح خطيبا مفوها وعالما بارعا متمكنا وخطب لزمن طويل في مسجد الوزان بحولي، وشارك في احتفالات الهجرة النبوية وغيرها..

وعلى الرغم من علمه الواسع فقد كان متواضعا لا يحب الظهور، وكان زاهدا ورعا ومن قصص الورع التي سمعتها عنه ما حكاها لي الشيخ احمد لوتاه رئيس بنك دبي الإسلامي.

يقول الشيخ احمد لوتاه: كان الشيخ سيد نوح يعمل مستشارا تعليميا لمدارس دبي الإسلامية (الخاصة) والتي اشرف عليها، وحدث أن كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي طلبت انتداب د.سيد نوح للتدريس في الكلية لساعات معينة في

الأسبوع فوافقت على ذلك، وبعد نهاية العام أرسلت الكلية شيكا أتعاب تدريس إلى د.سيد نوح، فقام الدكتور فحول الشيك اليَّ باعتباري صاحب المدرسة التي يعمل فيها، فلما وصلني الشيك، أعدته إلى الدكتور سيد نوح واستغربت تحويله الشيك لي، فلما وصله الشيك أعاده مرة ثانية لي، وقال: أنا ذهبت للعمل عندهم واقتطعت وقتا هولك فالمكافأة يجب أن تعود إلى صاحب المدرسة، فلما وصلني الشيك مرة ثانية، أعدته عليه، وقلت: يا شيخ سيد أنا موافق أن تدرس هناك.. وأعدت الشيك للدكتور سيد نوح.. إلا أن الدكتور رفض أن يقبض درهما واحدا وأعاده مرة ثالثة للمدرسة.. وهكذا اخذ الشيك يدور في حلقة مفرغة، ولم يقبل أن يقبض منه شيئا!!

فأين نحن من هذا الورع، وهذا الزهد الذي هو سمة العلماء الربانيين. ولقد تشرفت بأن تزاملت مع الشيخ د.سيد نوح في التدريس بكلية الشريعة وفي قسم التفسير والحديث، حيث كنت أدرِّس التفسير وعلوم القرآن، وكان الشيخ د.سيد نوح يدرس الحديث الشريف وعلومه.

نسأل الله ان يرحمك رحمة واسعة وان يبارك فيما تركته من علم نافع يا شيخ سيد وان يعلي درجاتك في عليين.. آمين.

النائب في مجلس الأمة الكويتي

د.وليد الطبطبائي

لمسة وفاء

لعل من أجمل الأمور أن تتذكر لحظات مع العلماء والمشايخ.. وهذه اللحظات عزيزة على النفس عزيزة على القلب عزيزة على الروح...

ومن هذه اللحظات المفعمة بالحب والوفاء كانت مع الشيخ الحبيب والداعية الواعي والرجل الوفي، مع الشيخ سيد نوح... أول اللحظات اسمه رحمه الله على اسم النبي نوح عليه السلام... (أني دعوت قومي ليلاً ونهاراً).

وكأن الشيخ سيد نوح كان شعاره.. (أني دعوت قومي ليلاً ونهاراً).

فليس من العجب أن تسمع أو تعرف أن الشيخ سيد نوح يكون برنامجه مزدحم بالمحاضرات ودروس الوعظ والتذكير من الصباح إلى آخر المساء.

ثاني اللحظات: حبنا لمجالسة الشيخ وطريقة عرضة للموعظة بطريقة محببه سهله ممتعه مليئة بالعواطف الإيمانية فعندما نسمع أن ضيف المخيم الشيخ رحمه الله تكون السعادة غامرة والوجوه مبتسمة لما نجد من حب الشيخ لشباب الدعوة ورجالها..

ثالث اللحظات: التفاني في بذل العلم فمن الطبيعي أن نجد

الشيخ موجوداً في مسجد دون موعد مسبق ثم يراه إمام المسجد فيطلب منه موعظة فلا يمانع الشيخ بل يكون سعيداً فرحاً بذلك.

رابع اللحظات: عندما عاد من العلاج كانت توصيات الأطباء أن يلبس الشيخ كماماً لحمايته من العدوى وغيرها فكان الشيخ سيد نوح يلتزم بذلك لكن لا يمنعه من التواصل مع الناس بالأفراح والأتراح.

خامس اللحظات: موعدنا الجنائز... لم يكن لي فرصة للحضور إلى المقبرة لظرف خاص لكنني سمعت من الأخوة الأفاضل أن المقبرة يوم وفاته ودفنه قد امتلأت من المشيعين...

هكذا هم العلماء...

آخر اللحظات: كم هو مؤلم غياب العالم الميداني في عالم الدعوة لكنها سنة الحياة.

نسأل الله الجنة للشيخ الدكتور/ سيد نوح..وأن يجمعنا معه في مستقر رحمته.

عبدالله أحمد عثمان الحيدر

مدير النشاط الخارجي لبيت الزكاة

من أعلام المسلمين

إن المغفور له -بإذن الله- الدكتور السيد نوح يعتبر من أعلام المسلمين والدعوة الذين أثروا الحياة بأعمال الخير-ولا نزكيه على الله- ونحسب أن أعماله ظاهرة من خلال الجنازة المهيبه والحضور الكبير من الكويتيين والمصريين والوافدين من مختلف الجنسيات وكل ذلك بسبب جهوده في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ومبادرته في أعمال الخير وقضاء حوائج الناس.

السيد عبدالرحيم شلبي

السفير المصري بدولة الكويت سابقاً

الدكتور سيد نوح

الدكتور سيد نوح ثمرة من ثمار الأزهر اليانعة التي تملأ العالم الإسلامي عبقاً دعوياً إسلامياً معتدلاً، فهو أحد علمائه الأجلاء المتواضعين، وأستاذ تدريس مادة الحديث النبوي بجامعة الكويت لعدة سنوات.

لم يتيسر لي السماع منه ولا الجلوس معه غير أنني قابلته مرتين وقوفاً. المرة الأولى: عندما كنت أصلي إماماً بأحد مساجد منطقة الشرق- بالكويت في وقت الظهر رأيته في الصف الأول قبل الصلاة، فعرضت عليه أن يصلي إماماً، ولم أكن أعرفه وإنما فقط لمجرد ارتدائه الزي الأزهري المعروف، لكنه اعتذر وصليت بالناس إماماً، وبعد الصلاة دعوته لتناول الغذاء معي ولكنه اعتذر أيضاً، وقال أنني على سفر، فقلت له يمكن أن أتعرف على فضيلتكم؟ فقال سيد نوح، ولم أكن أعرف وقتها من هو سيد نوح الأستاذ الجامعي والداعية الإسلامي الكبير المتواضع فقلت له إنني حديث عهد بالكويت وكان ذلك في أواخر عام ٢٠٠٠م، وأعاني من الغربة والوحدة وترك الأهل في مصر فبماذا تنصحني؟ فقال عليك بتلاوة كتاب الله عز وجل، وقال أنني كنت مرة مسافر بالباخرة إلى إحدى الدول المجاورة فقرأت القرآن كله خلال رحلة السفر، وهذا كناية عن

كثرة تلاوته لكتاب الله عز وجل، ومرت الأيام دون لقاء.

المرة الثانية: قابلته في موسم الحج بمكة المكرمة فقلت له أنني أعد رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف وأعاني من الكسل وضيق الصدر وقلة الهمة فادعو لي فوضع يده على عمامتي وقال وماذا تفعل هذه العمامة؟ وهو يقصد أن يتقرب إلى الله أكثر فيزول ما أعاني منه ويستجاب لي ومرت السنوات، ولم نلتق، وحقق الله تعالى لي الحصول على الدكتوراه بعد وفاته، فلله الحمد والمنة.

وانني أقترح على وزارة الأوقاف بالكويت أن تطبع مؤلفاته أو بعضها وتوزعها على الدعاة والأئمة، نشراً للعلم وتخليداً لذكراه وآثاره العلمية في مجال الدعوة إلى الله عز وجل.

رحم الله الدكتور سيد نوح وأموات المسلمين كافة. ووفقنا الله تعالى لخدمة الدعوة بصدق وحسن توجه إلى الله عز وجل.

د. نادي درويش محمد

إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

مدرسة أصولية

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، وعلى سيدنا محمد أفضل الصلوات، وأتم التسليمات وعلى آله وصحبه ومن فيهم بالحسنات في المحيا وعند الممات.

عندما نرثي رجلاً بمنزلة الدكتور الشيخ/ السيد محمد نوح -رحمه الله- فمن الطبيعي أن يقف القلم عاجزاً عن وصف شخصيته، لأنني لا أصف شيخاً فحسب، وإنما أصف مدرسة تربوية أصولية علمية وفقهية، وصدق الله العظيم القائل:﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ (الأحزاب.﴾

والشيخ السيد نوح -رحمه الله- كان مثالاً للزهد والتقوى والتجرد لله عز وجل، ونموذجاً فريداً لصدق الالتزام مع الله، ورائداً حياً في عزيمة الرجال وشموخ المؤمنين الذين تشربت قلوبهم بالتقوى والورع، فعملوا وثابروا لدعوتهم وجاهدوا وعاشوا بأرواحهم لهذا الدين، دعاة للحق وشهداء عليه، ولم تفتر عزيمته ولم يتوانى جهده رغم رحلة المرض الطويلة التي كان يعيشها لأنه صبر واحتسب أجره على الله عز وجل.

ولقد كان شيخنا رحمه الله يتصف في كلماته بالإخلاص والتقوى، وفي حياته تراه رجلاً زاهداً متواضعاً، وفي دعوته تراه مثابراً وصابراً،

وفي تعاملاته مع الناس تجده باسط الوجه خلوقاً، ومع إخوانه تجده خافض الجناح وكريم الخصال.

ذهب الذين أحبهم

فعليك يا دنيا السلام

لا تذكرين العيش لي

فالعيش بعدهم آلام

ارتفع شيخنا رحمه الله بإيمانه القوى فوق هذه الدنيا، ينأى بنفسه عن متاعها الزائل من المناصب والشهرة والتكريم، استنفذ عمره وقواه في خدمة الإسلام، ونذر حياته لخدمة دينه وأمته بقلمه ولسانه وعمله، فكان رحمه الله يتزاور، ويتحاور، ويتشاور مع إخوانه رغم وقته الضيق، وقد أضاف إلى المكتبة الإسلامية العديد من المؤلفات.

طابت نفسك أيها الشيخ الجليل ورحمك الله رحمة واسعة، وجزاك الله عن الإسلام والمسلمين خير ما يجازي عباده الصالحين، وجمعنا الله وإياك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

أ. محمد موسى قاسم

مدرب الفيزياء- النادي العلمي الكويتي

واحد من جيل أضاء الخليج

استضافت دول الخليج عددا من علماء الدين من الدول العربية، ففي الكويت عرفنا الشيخ حسن طنون، والشيخ حسن أيوب، والشيخ عبدالرحمن عبدالخالق والشيخ سيد نوح، ود.عمر الأشقر، ومن المتخصصين د.عيسى عبده في الاقتصاد والمستشار سالم البهنساوي في الشريعة والقانون.

مثل ذلك وأكثر في دول خليجية أخرى، د.يوسف القرضاوي في قطر، محمد سعيد رمضان البوطي ومحمود الصواف في المملكة العربية السعودية.

هؤلاء أقاموا في هذه الدول، وبعضهم توفي خارجها وطلب أن يكون دفنه في الدولة التي احتضنته، مثل أ.سالم البهنساوي الذي توفي في كازاخستان ودفن في الكويت.

كان وجود هؤلاء الأعلام سببا لاستقرار العاطفة الدينية للشباب المقبل على الإسلام، في حين عانت البلاد التي تم تقييد هذه النوعية فيها، أو دفعهم إلى مغادرتها، صنوفا من التطرف والغلو.

دول الخليج اعتبرت هؤلاء العلماء منارات هدى، تسجل لهم البرامج التلفزيونية، وتستضيفهم في ليالي شهر رمضان المباركة، ومن شاء الإقامة والعمل وجد انه يقيم بين أهله، مثل

أستاذنا الفاضل عبدالحميد بسيوني الذي افتقدته ديوانيات كثيرة، لعلمه وأدبه الجم.

لم يؤثر عن أي من هؤلاء التحريض الطائفي ولا الدعوة الى الغلو. سواء كانوا مقيمين أو زائرين مثل أ.عبدالله رشوان الذي سُئل في محاضرة جماهيرية شاركت في إدارتها عن حكم الإسلام في النظام الوراثي لإدارة شؤون الدولة، فأجاب: «لقد عرف التطبيق الإسلامي ستة أشكال لإدارة الدولة، وكلها كان في عهد أصحاب رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، بعد فترة النبوة، وقد بايع جمهور الصحابة على الخلافة في الأشكال الستة، وفي الأمر سعة للمسلمين، ولو كان غير ذلك لجاء في السنة نهج صريح غير قابل للتأويل بطريقة واحدة لإدارة الدولة، ولكن الإسلام أراد للناس الاختيار وفق معطيات تتغير، على أسس ثابتة لا تتغير.

إن الاحتفاء بأهل العلم سبب لبركة الدولة، واستقرارها، وهو ما اتخذته دول الخليج نهجا، ولم يخذل أهل العلم ذلك النهج فكانوا أهلا للأمانة، يرحم الله من مضى منهم، ونسأله أن يعوضنا خيرا في جيل جديد من هذه البلاد، وغيرها، يكونون رحمة للبلاد والعباد. آمين.

فيصل الزامل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد،

فهذه كلمات أقولها وفاء لشيخي وأستاذي فضيلة الشيخ الدكتور/ السيد محمد نوح-رحمه الله رحمة واسعة- وما عساي أن أقول بعد ما قال أقرانه، ومن صحبوه السنين الطوال، ولكن إذا كنت أنا قد عايشته أياماً قلائل، رأيت فيها منه ما اجتمع في كثيرين، فكيف بمن خالطه الأعوام والسنين؟

عرفت شيخي -رحمه الله- سنة ألف وتسعمائة وثمانين ميلادية، وهي سنة التحاقي بكلية أصول الدين بالمنصورة، وهناك وجدنا مناهج تختلف في طبيعتها عن المناهج التي كنا ندرسها في الثانوية وقبلها في الإعدادية، ورأينا أساتذة كنا نسمع عنهم قبل ذلك ولا نراهم، وكنا نتشوق إلى السماع منهم والاغتراف من علومهم، وكان على رأس هؤلاء فضيلة شيخنا رحمه الله، ومن فضل الله علينا أنه كان يدرس لنا مادة (مصطلح الحديث) ومنذ أول محاضرة له بهرنا بطريقته في الشرح والبيان، وبراعته في توصيل المعلومة الكبيرة بطريقة سهلة بسيطة، فقد كان كلامه منظماً، يجعل الإنسان لا يحتاج لكبير جهد في مراجعة ما قال في المحاضرة، إضافة إلى

وضوحه في الذاكرة حيث لا ينساه المرء على تطاول الأيام- وسأضرب لذلك مثلاً عملياً حدث لي بعد عشرين سنة- وكان من أكثر ما شدنا إليه ذاكرته الواعية، وحفظه التام الذي يجعله لا يكرر كلمة أو يعود لتصحيح معلومة، وكان لا يذكر إماما من الأئمة أو علماً من الأعلام إلا ويذكر تاريخ وفاته، ولم يكن درسه مقصوراً على المادة العلمية المقررة فقط، بل يجمع إلى العلم الشرعي الجوانب التربوية التي يجب أن يكون عليها طالب العلم الشرعي الذي سيكون داعية في المستقبل، فقد كان يؤكد على ضرورة أن يكون طالب العلم الشرعي على صلة حسنة بالله تعالى، وأن يكون جاداً في تحصيل العلم، وأن لا يرى في موطن ريبة أو شبهة، أو أن يتخلف عن مكان يجب أن يكون فيه؛ لأنه في محل القدوة، وكان يطبق ذلك عملياً.

فقد كان يعطل المحاضرة تماماً مع الأذان، وأذكر يوماً أنه قد حانت صلاة الظهر، فأوقف المحاضرة على أن تستكمل بعد الصلاة، وحدث أن تخلف بعض الطلبة عن الحضور إلى المسجد -وكان هو الإمام- فرأى أن من حضر الصلاة أقل من الذين كانوا في قاعة الدراسة، فلما عاد قال: لقد تخلف كثير من المشايخ عن الصلاة في المسجد فأي عذر شرعي عند هؤلاء المتخلفين؟ نحن في كلية للبنين، ولا أعرف أن العذر الذي يأتي للنساء قد يصيب الرجال أيضاً!!

ثم أخذ يبين مخاطر إهمال طالب العلم للفرائض الشرعية، وذلك من الناحية الدينية والنفسية والتربوية.

كما كان يتميز -رحمه الله- بالحرص على جدية العملية التعليمية في الجامعة، وعلى نقائها من كل ما من شأنه أن يكدر صفوها، فكان لا يسمح بأي تجاوز مهما كان يسيراً في قاعات الاختبار، فقد كان يتابع سير الاختبارات بنفسه، ولا يتوقف عن المرور لحظه واحدة على لجانها، حتى عرف بصرامته التامة في هذا الجانب، ولقد سألته يوماً -حين كان يأتي إلينا في الجهراء عن سبب صرامته تلك، فقال: إنها أمانة، وهذا دين، فيجب علينا أن نؤدي الأمانة وأن نصون الدين.

وانتهت السنة الأولى في الكلية، وفي السنة الثانية لم نجد شيخنا بين الأساتذة، وعرفنا أنه سافر إلى بلاد الخليج العربي، وكنت حريصاً على متابعته في سفره، إلا أن المعلومات عنه لطالب مثلي لم تكن متاحة، إلا ما أقرؤوه له في بعض المجلات وبعض الكتب، فقد قرأت له كتاب (آفات على الطريق) بأجزائه الخمسة، وكذا كتابة الصغير في حجمه الكبير جداً في مضمونه، وهو (منهج أهل السنة والجماعة في قضية التغيير بجانبيه التربوي والدعوي).

وكانت صلتي به لا تتعدى هذه القراءات، إلى أن أعلنت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت عن حاجتها إلى أئمة

ومؤذنين سنة ٢٠٠٠م، فتقدمت بأوراقي وكان من ضمنها شهادة حصولي على الماجستير في الدعوة والثقافة الإسلامية من كلية أصول الدين، وفي لجنة الاختبار طلب مني أحد أعضائها رسالة الماجستير، ثم سألني وقال: يا شيخ حينما تذهب إلى الكويت وتتسلم مسجداً ما خطتك لإحياء هذا المسجد؟ فقلت له: لابد أن تكون هناك دروس متنوعة بين علمية ووعظية في مختلف الفنون، إضافة إلى خطبة الجمعة التي يجب أن تكون مواكبة للأحداث ومناسبة للجمهور، فقال لي: حدد مادة تدرسها في المسجد، ولما كنت متخصصاً في الدعوة، ورأيت أنه ليس من المناسب أن أقول له أدرس الدعوة للجمهور، فاخترت مادة الحديث التي أشربت حبها من أستاذي الدكتور/ السيد نوح، فقلت له: مادة الحديث، فقال لي مباشرة: عرف الحديث الشاذ يا شيخ؟ في هذه اللحظة تذكرت الشيخ الدكتور/ السيد نوح، وهو يلقي علينا محاضرة في الكلية منذ عشرين عاماً عن الحديث المردود وأقسامه، فرددت عليه قائلاً: الشاذ ما رواه الثقة مخالفاً لمن هو أوثق منه، أو ما رواه الثقة مخالفاً لما رواه الناس، فلمحت في المختبر إعجاباً بسرعة الإجابة، وكانت تلك فاتحة الخير في الاختبار كله.

ولما حضرت إلى الكويت علمت أن شيخي أستاذ في الجامعة ويخطب الجمعة في مسجد الوزان بمنطقة حولي، وحيث

إنني كنت في الجهراء فلم أستطع الذهاب إليه، ولم ألتقه إلا سنة ٢٠٠٤م، حيث كان في ضيافة بعض الأصدقاء في منطقة مزارع الصليبية، وهذا يبين لنا جانباً آخر من مآثره، فقد كان متواضعاً لا يفخر على أحد ولا يهمل أحداً أبداً، حيث إن معظم هؤلاء الأصدقاء من العاملين والمسئولين عن مزارع الألبان، وكانوا قد تعرفوا عليه في الحج، فلما دعوه لبى دعوتهم، وألقى محاضرة في المسجد بعد العشاء عن أثر المعصية وشؤمها، لم اسمع مثلها من قبل- مع كثرة كلامنا عن أثر المعاصي، ثم كانت لنا معه جلسة على العشاء، فانتهزتها فرصة واتصلت بأحد المسئولين بالمراقبة الثقافية بإدارة مساجد الجهراء؛ لدعوة الشيخ لإلقاء محاضرة بأحد المساجد، فوافق مباشرة وقال إنه لو حضر للجهراء فسيكون شرفاً كبيراً، ودعوت الشيخ لهذه المحاضرة، وأذكر أنها كانت بعنوان (الأسباب الجالبة لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم) فأخرج ورقة صغيرة من جيبه ليكتب فيها موضوع المحاضرة وتاريخها) وهنا رأيت منه أدباً عظيماً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كانت الورقة صغيرة وتكاد تكون ممتلئة كتابة، فكتب في طرفها الضيق جداً (الأسباب الجالبة لمحبة النبي) وهنا وصلت الكتابة إلى أقصى طرف الورقة ولم يعد فيها مكان لشيء آخر، فظننت أنه سيكتب (ص) للدلالة على الصلاة على النبي صلى الله عليه

وسلم كما يفعل الكثيرون للأسف الشديد، ولكنه ظل يبحث عن مكان في الورقة ليكتب الصلاة على النبي كاملة، حتى كتب بعضها بين الأسطر، كل ذلك حتى نأخذ درساً في الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن يومها كنت أتواصل معه دائماً، أطلب منه النصح والتوجيه، فكان خير ناصح وأمين.

شيخنا -رحمه الله- كان -ولا نزكيه على الله- رجلاً ربانيا، ما إن يذكر عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه وأصحابه -رضي الله عنهم- حتى تفيض دمعته، وهذا مشهور عنه، ولقد شهدت منه أمراً أكتبه وفاء بحقه، وكان ذلك حينما دعوناه إلى ندوة حوارية في الجهراء وكانت عن (الشباب بين الواقع والمأمول) ويومها اتصلت به قبل المغرب بحوالي ساعة، فأكد أنه في الطريق، والطريق لا يستغرق أكثر من عشرين دقيقة، ولما تأخر جداً اتصلت به مرة أخرى، فعلمت منه أنه قد دخل بالخطأ طريقاً آخر، الأمر الذي ترتب عليه دخوله المسجد بعد انقضاء صلاة الجماعة فأقام جماعة أخرى، فظننت أنه سيتجوز في صلاته، لأن المحاضر الآخر أوشك على الانتهاء، إلا أنه لم يفعل فقد صلى بآيات طويلة، وبعد الصلاة قرأ الأذكار كاملة، ثم قام وصلى النافلة باطمئنان كامل، ولم يؤثر في اطمئنانه تلك الحشود التي كانت تنتظره في المسجد.

وقبل وفاته بأشهر سعدنا به في الجهراء لمدة شهرين في دورة تربوية إيمانية أقامتها المراقبة الثقافية بإدارة مساجد محافظة الجهراء، بعنوان (من فقه التاريخ وأحداثه) أبدع فيها الشيخ- كعادته- أيما إبداع، وكنت أذهب إليه بصحبة أخينا الشيخ/ وائل مزروع، لنأتي به من بيته، وكان يصر على أن ننزل معه في بيته حتى يكرمنا، وذات يوم أصر على أن نتناول معه العشاء، فكان ينادي على ابنه عبادة، فإذا تأخر شيئاً يسيراً كان يقوم ليخدمنا بنفسه، ونحن من صغار تلاميذه.

شيخنا -رحمه الله- كان يتمتع بشرف العالم وسمو الداعي إلى الله تعالى، أذكر أنه بعد أول محاضرة له بإدارة مساجد الجهراء طلبت منه أن يعطينا رقم حسابه البنكي؛ حتى تصرف له مكافأة لقاء حضوره، فرفض بإصرار عجيب، وقال: لا أهين نفسي ولا أعطي رقم حسابي، فبياناتي كاملة عند الوزارة، وجزى الله الوزارة خيراً في الحالتين، إن صرفوا مكافأة أو لم يصرفوا.

فاللهم تقبل شيخنا الجليل في الشهداء والصالحين، واحشرنا معه في زمرة النبيين والصديقين.

محمد إبراهيم شلبي شومان

إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

د. نوح.. ذلك الصابر المحتسب

أي همةٍ عاليةٍ يحملها ذلك الرجل؟!

- أي عزيمةٍ ماضيةٍ تُحركه؟!

- وأي روحٍ وثابةٍ يمتلك؟!

كل مَن عرفه تأثَّر به وبأخلاقه.. إن جالسته تشعر بهيبة العالم، ووقار الحكيم، وحنوّ الوالد، وتواضع ابن البلد.. لم يغير لهجته (لجهة ابن البلد) والتزم الزيَّ الأزهريَّ.. كانت بسمته وضَّاءةً مشرقةً.

له تواضُع يلزمك الصمت أثناء حديثه، فهو حازم وشديد، ومع ذلك رقيق وطيب، إنسان صادق، سريع الدمعة، كلما مرَّ على لفظ الجلالة أو ذكر النبي- صلى الله عليه وسلم- أخذ يبكي ويُبكي مَن حوله، مَن رآه أحبه في الله.

عنده هدف، ورسالة يعيش من أجلها، ألا وهي الدعوة إلى الله، وإصلاح الناس.. يحب العلم حبًا شديدًا، فقد عاش مع العلم أكثر من أربعين سنةً من عمره، تأخَّر قليلاً عن المحاضرة ذات يوم، ربما لدقائق، فأخذ يعتذر، وأخبرنا بأنه قَدِمَ من المستشفى، فقلنا له: يا دكتور.. لا ترهق نفسك، فقال: "بالعكس، أنا سعادتي مع العلم، أنا كالسمكة التي لا تعيش بدون الماء، فكذلك لا أستطيع العيش بدون العلم".

حريص على وقته، دقيق في مواعيده، له طريقة في التعليم بديعة ومبتكرة، تُخرج الطالب متمكنًا من المادة العلمية، غنيًا بالمعلومات.. سعادته في خدمة الناس، وتقديم العون ومساعدتهم، فمسجده الذي يصلي به ممتلئ بالفقراء وأصحاب الحاجات.

له قبول في قلوب الناس، كثير العبادة، يقرأ في اليوم الواحد ما يقارب خمسة إلى عشرة أجزاء.

أُصيب قبل سنتين تقريبًا بسرطانٍ في الكبد، وكان متعبًا كثيرًا حتى إنه سقط في الغيبوبة أكثر من مرة، وفي يوم إجراء العملية يقول: متُ فأحياني الله، وهذا بفضل الله أولاً وآخرًا، ولصلاح الرجل- نحسبه والله حسيبنا وحسيبه- ثم بدعاء محبيه والناس له.

يصفه الدكتور عصام العريان فيقول: "كان مثالاً للعالم الرباني المتواضع في غير ذلّة، العفيف في غير غنى، الفقير إلى الله وحده، القويّ في الحق، الناصع الحجة عند الجدل، القدوة في التربية والسلوك، الفصيح عند الخطابة، المنتصر عند المحجة، كان صابرًا محتسبًا راضيًا، قانعًا بقضاء الله تعالى، لا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى، عينه تفيض بالحب والود لكل مَن يلقاه، خاصةً هؤلاء الأحباب الذين فرَّقت بينه وبينهم الديار.

وقبل أن نُودعه ما أجمل أن نصغى له وهو يوصينا نحن أبناء هذه الحركة المباركة هذه الوصية وكأنها وصية مودع:

"عليكم يا أبناء التيار الإسلامي أن تتحلوا بمزيدٍ من الأخلاق الإسلامية، والسلوك الحميد، وأن تضاعفوا من جهودكم، وجهادكم، ونشاطكم، وأن تصبروا وأن تحتسبوا، حتى يبلغ الكتاب أجله، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

و﴿ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ (الأعراف).

اللهم ارحم شيخنا، واحفظ لنا علمه، وانشر كلماته، وكتاباته، واجعلها صدقةً جاريةً بعد موته، وعلمًا يُنتفع به يُكتب له في ميزانه، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده، وارزقنا علماء يسيرون على نهجه، ويحملون رسالته، واجعل في موته خيرًا لأمتنا، كما جعلت في حياته خيرًا لها

تلميذه يوسف نور الدين

العالم الرباني

فكثيراً هم أولئك الذين يمرون في حياتنا لكن القليل من يترك ذكرى وأثر يستمربعد حياته ، ومصداق ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة . قال : قال رسول الله: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أوولد صالح يدعو له) رواه مسلم ،وقد كان الشيخ العلامة سيد نوح. ولا نزكي على الله أحداً .. واحدً من أولئك الذين رحلوا عن الدنيا وتركوا بعدهم أثراً من العلم والمعرفة والذكرى الطيبة التي يفوح عبقها كلما ورد اسم هذا الشيخ الجليل ، الذي أسهم في رفد حياة المسلمين المعاصرة بالكثير من عطائه وعلمه الغزير، فقد عرفته. رحمه الله. عندما حل ضيفا على دولة الإمارات العربية المتحدة قادما من الأزهر الشريف بمصرعام ١٩٨٢ م، وليشارك في أوسع مشروع لتحفيظ القرآن الكريم في الإمارات ، ولم يكن الشيخ مشرفاً فقط على هذا المشروع في إحدى أمارات الدولة بل ذاع صيته بعد أسابع قليلة من مجيئة لما عرف عنه من سعة في العلم وحسن في الخلق وتواضع جم ، حتى أصبحت محاضراته ودروسه تزدحم بالمتلقين وطلاب العلم الذين كانوا يتوافدون إليه من كافة مدن الدولة طلباً لعلمة وتقديراً لجهده ، ثم انتقل بعد ذلك إلى جامعة الإمارات العربية المتحدة استاذاً للسنة في

قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب حتى عام ١٩٩٣م حين رحل إلى الكويت للعمل أستاذاً بكلية الشريعة بجامعة الكويت ،وكان الشيخ رحمه الله محط التفاف الطلاب حيثما حل ، فقد كانوا يحرصون على التحاق بالمواد الدراسية التي كان يدرسه ومن لم يتيسر له ذلك فإنه كان يحضر مستمعا طلباً لعلم الشيخ، فتعلم على يديه عدد كبير من خريجي هذا القسم ،ولم يتوقف عطائه عند الجانب العملي في التدريس الجامعي ، بل كان ذا جهد واسع في البحث العلمي والكتابة والنشر في عدد من الصحف و المجلات ووسائل الإعلام داخل الدول وخارجها ورفد المكتبة الإسلامية بعدد من الكتب ذات المحتوى العلمي المتميز .

والشيخ سيد نوح رحمه الله ذا خصال جمه ، فقد تميز بالروحانية العالية فهو سريع التأثر بكل أية وحديث ،وكثيراً ما يبدو ذلك عليه وهو يتحدث أو يستمع ، بل صبغ ذلك حياته كلها ، فلم يكن منشغلا كثيراً بالدنيا ، فقد كان يكفيه من زادها القليل ، ولم يكن يسأل عن مطعم أو مشرب ، بل كان بسيطا في كل شأن من شؤون الدنيا ، يفرغ طاقته في العبادة و العمل لخدمة دينه وأمته ،فقد أعطى من وقته وجهده الكثير ،يشهد بذلك أثاره من الكتب والمقالات والمؤلفات والتسجيلات الصوتيه و المصورة ، وكان . رحمه الله . ذا همة عالية ، فقد كان شغوفا بحب العمل لخدمة الاسلام ولم يمنعه من ذلك

أي عائق، فكثيراً ما كان يتنقل من مكان إلى مكان من أجل تقديم درس أو مشاركة في ندوة أو إلقاء محاضرة ، فتراه يلقي بعد العصر درسا في مسجد ثم ينتقل بين المغرب والعشاء بسيارته لأكثر من مائة وخمسين كيلومتر ليقي محاضرة في نادي رياضي أو جمعية نسائية أو غيرها ، وقد تميز أسلوبه بالسلاسة في الطرح و العمق في المحتوى وكان يشد مستمعية بطيب حديثه وسرعة بديهته وعذوبة كلامه ، وكان كارها للجدال و الخلافات ولم يكن يعبأ بالردود على كثير مما يطرح من قضايا خلافية بين المسلمين ، ولا يعتد إلا بما هو مفيد منها وما يضيف للمعرفة الإسلامية شيئا جديدا نافعا ، ولذلك أحبه الجميع و التفوا حوله ، وكان بالمقابل حريصا على طلب العلم والتزود به والبحث عن مفيد ، حتى ولو كلفه ذلك الجهد الكبير ، فأذكر أنه استعار كتابا نادرا لأحد الأساتذه تزيد صفحاته أربع مائة صفحة ، وبعد أيام أعاده لصاحبه واستأذنه في أمر لم يستشر فيه صاحب الكتاب من قبل ، فقد قال الشيخ : ، اسمح لي في أمر لم استأذنك فيه عند استعارتي للكتاب ، لقد نسخت الكتاب بيدي دون أن أستأذنك ، فهل تسمح لي بذلك !! ، وحين استغرب صاحب الكتاب من همة الشيخ في نسخ هذا الكتاب وعدم القيام بتصويرة ، أجاب الشيخ : لقد خشيت عليه من التلف أثناء التصوير ، وأحببت

أن أتزود منه بالقراءة والكتابة !!« .

كان رحمه الله متواضعا في حياته و في علاقاته بالناس ، فقد كان محبا لكل خير عف اللسان ، لا يذكر أحد ممن عرفه أو قرأ له أنه تحدث عن أحد بسوء حتى و إن اختلف معه في فكره أو رأيه ، وحين كان يحتاج إلى البيان فإنه يتحدث عن الآراء و الأفكار و المواقف دون أن يعرض بالأشخاص أو الهيئات ، فقد كان مشغولا بقضايا دينه وأمته ، يشغله حال الأمة وما هي عليه من تخلف ، وكان همه الأكبر أن يعمل لدينه وأمته ولقضاياها ، ففلسطين والقدس لم تكن تغيب عن باله وأحاديثه ومحاضراته ، وكان يدعو لنهضة الأمة و خيرها حتى تستعيد حقوقها ، وتعيد مكانتها .

هذا هو الشيخ سيد نوح العالم الرباني الذي ترك بصماته الواضحة على جيله الذي تعامل معه ، فرحمه الله رحمة واسعة وأثابه خير الجزاء عما قدم لدينه وأمته .

د . سعيد عبدالله حارب

نائب رئيس جامعة الإمارات السابق

غدا..نلقاك

الحمد لله على كل شيء.. لا أعرف كيف أُعبِّر عمَّا يجول في خاطري، فشعوري يجمع بين الفرح والحزن، السعادة والضيق؛ لما أراه عرسًا لوالدي الذي ارتاح من مرض الدنيا إلى نعيم الآخرة- بإذن الله- وما أراه مأتمًا لفراق الأب والوالد والمربي والعالم والمجاهد والمفكر عن أهله وإخوانه، وأصدقائه وأحبائه.

كانت أيامه الأخيرة تنحصر في قراءة القرآن (٦ أجزاء يوميًا، و١٠ أجزاء أيام المرض)، والتأمين على كلِّ مَن يدعو له خلال زيارته حتى صارت كلمة «آمين» لا تفارقه طوال الليل، ليس هذا فحسب، بل كان يتحدث إلينا ويُقدِّم لنا الوصايا الدالة على إنه مودع الآن.. فكان نعم الحديث، ونعم الوصايا التي لا تفارق ذهني ولا مخيلتي لحظة واحدة.

والدي- رضي الله عنه- كان متسلحًا بالحكمة التي كان يرددها مرارًا وتكرارًا: "مَن أراد أن يعمل لدينه، واجه المصاعب، ولكن سيحيا كبيرًا ويموت كبيرًا"، وبالفعل مات كبيرًا مرفوع الرأس بعد تاريخٍ مشرقٍ في الدعوة، وكان من فرسانها المخلصين- نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدًا-

في البيت تراه عطوفًا رحيمًا، قائدًا، حازمًا، معالجًا، يعلمنا

كل شيء، ثم يترك لنا حرية الاختيار.. كان بعض الناس يتساءلون: لماذا بعض أبناء الشيخ ليسوا مثله؟! فيجيب بتساؤل: لماذا ابن سيدنا نوح- عليه السلام- ليس مثله؟!! لقد نجح أبي في تربيتنا، وتصحيح فكرنا، وأخرجنا من الزلات، ووقانا من الكبائر، وحفظنا من الفتن بالحكمة والموعظة الحسنة.. فالله يشهد أنه كان خير الأب، وخير الصديق، وخير الزوج، وخير الابن، وخير العم، وخير الخال، وخير الجد.

لم يمنعه المرض من إدارة مسئولياته بالكويت وخارجها، فكان يسأل عن هذا، ويطالب بهذا، ويحل مشكلة هذا، ويقترح على هذا، ويُوصي هذا، حتى إني كنت أشعر بأن هذا الرجل مَلكٌ يمشي على الأرض، كما أنه أخلص لدعوته، بالرغم من ترديده في أيامه الأخيرة بأنه مقصرٌ في واجباته، خاصةً الدعوية.. فكان يقص علينا قصصًا توضح مدى إخلاص إخوانه السابقين في حقل الدعوة، وذلك بنبرةٍ بكائيةٍ عاطفية تُبيِّن رقة قلب هذا العالم العامل، وسيره على النهج الوسطي المعتدل؛ وذلك لكي نأخذ العبرة والعظة.

لم أشعر بقيمة هذه الجوهرة الإسلامية التي كانت تقبع بين جدران منزلنا إلا بعد التزامي التام.. فشعرتُ وقتها أني ضيَّعتُ عمرًا كبيرًا في الغفلة عن هذا الرجل الرباني العابد العالم.. ولكن الحمد لله أنه أنار لنا الطريق، وأضاء لنا دروب الهداية. لا

نسأله عن شيء إلا وجدنا ذهنه حاضرًا، والإجابة جاهزةً، في السياسة متابع، وفي الفكر صاحب رأي، وفي الحديث محدِّث، وفي الدعوة فارس، وفي الثقافة مثقف، وفي الفقه فقيه، وفي القرآن حافظ، فكان حقًا موسوعةً متكاملةً تسير على الأرض.

عندما كنا نقول له: نريد أن نُوفِّر بعض الأموال، كان يردد دائمًا: "اصرف باعتدال دون إسراف ولا تقتير، فالإنسان لا يضمن عمره أبدًا".. فجعلنا نعيش في سعةٍ وراحةٍ دون تجاوز.

والدي العزيز.. سكرات موتك كانت تدل على بعض المعاناة التي تكبَّدتها، ولكن غسلك يدل على أنك- إن شاء الله- مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.. فماء زمزم تقاطر على جسدك الطاهر، ورأسك الكريمة أبت أن تغير وجهتها عن اليمين.. فنسأل الله أن تكون من أهل اليمين، وأن يجمعنا بك في الفردوس الأعلى.

أخيرًا.. نُقسم بالله العلي العظيم إننا لن نحيد- يا صاحب عمامة الإسلام- عن دربك الطاهر الشريف، وإننا سنسير على نهجك القويم المعتدل، ولن نخذلك أبدًا، وسنرفع اسمك عاليًا في الآفاق.. فنم راضي النفس قرير العين.

عبادة السيد نوح

صحفي بمجلة الوعي الإسلامي

كثيرًا ما يَبتلي اللهُ عزَّ وجل الإنسانَ بعدة ابتلاءات، وخاصةً المؤمن التقيّ القويّ؛ وذلك لعدة أسباب تعلمتُها من والدي رحمةُ الله عليه، وهي اختبار صبر المؤمن، ومدى تحمُّله للمصائب من ناحية، ولأخذ العِظة والعبر من ناحية أخرى.

ولعل من أشدِّ الابتلاءات التي ابتلانا بها الله- عزَّ وجلَّ- نحن أولادَ الشيخ السيد نوح رحمه الله هي وفاة هذا الرجل العالِم العامِل العلاَّمة الجليل، كيف لا وهو شيخ الإسلام وأمير الدعاة وناصر الفقراء والمساكين وحامل راية الإسلام وخطيب الأقصى؟!

لا أكاد أنسى قول الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (آل عمران: من الآية ١٨٥) وهي الآية التي سمعتُها في لحظة وفاة والدي رحمه الله، وما زالت تتردَّد في أذني وذهني حتى الآن، فأنا عاجزٌ كلَّ العجْز أن أتكلَّم عن هذا الرجل الذي إن عشتُ عمري كلَّه أدعو له فلن أوفِّيَ جزءًا صغيرًا من فضله عليَّ.

كان- يرحمه الله- واسعَ الصدر، غزيرَ العلم، كثيرَ الدعاء، سريعَ البكاء لله عزَّ وجلَّ، حتى إني والله لم أكد أراه بعد عملية زراعة الكبد التي أجراها في الصين مؤخرًا إلا ورأيته يبكي، سواءٌ في المحاضرات أو الخطب أو المناسبات، أو حتى معنا؛

تضرعًا وخوفًا من الله تعالى، فنسأل الله سبحانه أن يكون من السبعة الذين يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله.

رأيت في والدي العزيز- يرحمه الله- الأب المثاليَّ الذي يتفنَّن في كيفية إسعاد أولاده، وشخصيًا لي مواقف عديدة معه، ولا أكاد أحصيها ولكن أبرزها رفقته في الحج، فكان والدي وحبيبي مرشدًا دينيًا لحملة "مساعد العنزي"، وكنتُ أراه منذ اليوم الأول الحاجَّ المثاليَّ النَّشط، الذي يسمع آراءَ الناس ويناقشُهم ويُفتي لهم كما أمر الله عز وجل، مستشهدًا بآية من كتاب الله أو حديثٍ للنبي- صلى الله عليه وسلم- حتى إنه كان يوقظُنا صباحًا من النوم أنا وأخي حتى نخرج من الغرفة ويبقى هو في استقبالِ الحجَّاج والإجابة عن تساؤلاتهم.

رأيته- رحمة الله عليه- حريصًا جدًا عليَّ أنا وأخي، فكنا إذا ما دخلنا الحرم الشريف تراه يُمسك بقوة بأيدينا؛ حتى لا يصيبَنا أيُّ مكروه، فكان بالفعل أبًا حنونًا ومرشدًا حازمًا وعابدًا مخلصًا وإمامًا وَرِعًا، حتى إننا كنا ننام وكان يسهر ليصلي قيام الليل حتى طلوع الفجر، وحين ذهبنا إلى منى كنا متعَبين جدًا، فقلنا له إنا متعبون، فيقول لا تعب مع الأجر والثواب.

كان نشطًا للغاية، حتى إني أذكر أن طبيب الحملة قال له لا بد من الراحة يوم منى لحرارة الجوّ، فأبى أن يسمع له، وواصل في

دعاء الناس إلى التسبيح والتهليل والتكبير والذكر حتى فجر يوم عرفة، وقد رأيت بعض الناس يأتون من شتّى الحملات للاستماع لحديثه وخطبه.

رافقتُه في رحلة سياحية إلى تركيا مع أخي، قبل إجرائه عملية زراعة الكبد، فكان يقول: أنا أحاول أن أكون الأب والأم حتى لا تشعروا بالوحدة، لا سيما أن والدتي كانت في مصر آنذاك لضرورة ملحّة، ويحاول أن يُرضيَنا بأيِّ حالٍ من الأحوال، ولا يتردَّد في ذلك أبدًا، حتى إني ذات يوم أغضبتُه فغضب مني، ثم رأيته والله يأتي ليلاً ويقبِّلني ويعطيني مبلغًا من المال!!

فيا لهذا الرجل الذي لم أرَ مثله في حياتي، أُغضبه فيقبِّلني!! ألا يحقُّ لنا نحن أولاده أن نحزن عليه ليلاً ونهارًا على فراقه؟! وكيف لا وهو الصدر الحنون الذي كنا نلجأ إليه بجانب أمي بارك الله لنا في عمرها، والتي كان يشبِّهها لنا بأنها إحدى عمادَي الخيمة التي لا غنى لأحدهما عن الآخر.

رافقته في الثانوية العامة؛ حيث كان والدي- رحمة الله عليه- أبًا حريصًا على مصلحة أولاده، فكان يطمئن يوميًا على دروسي ولا أنسى أبدًا أنه قال لي ذات يوم: "فداك روحي".. يا الله..!! أترون أن هذا الرجل العظيم يقول لي أنا الإنسان البسيط الصغير جدًا!! وأنا أقول له: "نحن فداك يا أبانا"،

ولو عشت طوال حياتي خادمًا لترابك فلن أوفيك حقَّك.

رافقتُه في المرض، فكنتُ أبيتُ معه- رحمةُ الله عليه- في بعض الليالي؛ حيث رأيتُه إنسانًا لم أرَه طوال حياتي، رأيته كثير الدعاء خاصةً "اللهم ثبتني على الإيمان وأمتني مسلمًا"، كان زاهدًا بكَّاءً، سريع الدمع، رقيق القلب، حتى إنه كان يطلب المصحف للقراءة فلا يستطيع حملَه، فأحملُه له، فيضرب يدي ويأبى أن يمسكه أحد غيره، وأقسم بالله العظيم إني ما رأيت مثل هذا الرجل الذي عاش حياته جلَّها من أجل دعوة الإسلام، لا من أجل زخارف الحياة وفتنتها.

رحم الله سيد الأخلاق وسيد الوسطية وسيد العظماء الشيخ الدكتور العلاَّمة السيد نوح، ونسأل الله أن يحشرَنا معه في الفردوس الأعلى مع الحبيب المصطفى- صلى الله عليه وسلم- وحزبه، ونقول لوالدي- يرحمه الله-: سيظل اسمك مرفوعًا يحمل راية الوسطية والاعتدال حتى آخر لحظة في حياتي، وهذا عهدٌ منِّي أمام الله، والله ولي التوفيق.

يوسف السيد نوح

طالب بكلية طب المنوفية

في بيت الرفاعي

لم تقتصر دعوة الشيخ السيد نوح رحمه الله تعالى على المساجد والمنتديات والجامعات والمخيمات فحسب بل وصلت إلى بيوت الأهالي والأسر ففي بيت (أبو عبدالرزاق) السيد هاشم الرفاعي كان الشيخ رحمه الله تعالى يحل عليهم ضيفاً أسبوعياً لإلقاء محاضرة للنساء فكان في هذا البيت الكريم يجتمعن كثيراً من طالبات العلم ينتظرن الشيخ لكي يرشدهن ويعظوهن في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فيا له من شيخ كان لا يرفض أي دعوة توجه إليه ليلاً أو نهاراً في نشر وتعليم هذا الدين الحنيف.

وكان من أهم ما تتلقاه طالبات العلم في منزل الرفاعي:

١ - تفسير كتاب الله.

٢ - شرح كتاب مدراج السالكين لابن القيم وربطه بالسنة الشريفة. وكان مما له الأثر عليهن شخصية الشيخ المتواضعة وخلقه العالي وتمسكه بالسنة في أقواله وأفعاله وخلقة ومن أعظم ما تأثرن به قلبه المخبت الوجل كلما ذكر الله فكان عيناه تفيض بالدموع وهكذا كان علماءنا السلف.

أسأل الله أن يرحمه رحمة واسعة ويجعل ما قدمه شفيعاً له يوم يلقاه.

أبو عبدالرازق السيد هاشم الرفاعي

السمت الفذ

أكرمنا الله سبحانه وتعالى باستضافة الشيخ سيد نوح في مركز القرآن الكريم في اللجنة النسائية بجمعية الإصلاح الاجتماعي لتأسيس مشروع (القرآن الكريم) منهج حياة.

وقد كان شيخنا الفاضل معلماً ومربياً ومستشاراً لهمومنا وطموحاتنا وقد أقبلت ثلة من السيدات الفاضلات للدراسة في هذا المشروع وقد عشنا معه لحظات يجول في رحاب كتاب الله وهدي سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ومازال يفسر كتاب الله ويعرض لسنة المصطفى والران ينقشع عن القلوب.

وقد تجلت قدرته (وهي هبة ربانية) على تنمية بذور الخير في النفوس البشرية.

فالعاصي يغترف له من النبع القرآني والهدي النبوي ما يشد وثاقه للغفور الرحيم فيدفعه إليه. والطائع يرتقي به في مدراج السالكين ويحركه لإعمار الأرض.

تذكرنا طلعته بصفات وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ (الفرقان).

فقد كنت أشفق عليه كثرة وبساطة وتكرار الأسئلة النسائية وهو معتل الصحة فلم يمل يوماً ولم تكن تفارقه الابتسامة، كان لدينا

طلب للشيخ سيد نوح بعد عودته من رحلة العلاج.. وهو برنامج خاص لحافظات القرآن الكريم لصناعة الشخصية القرآنية.. وأجاب والعبرات تظهر على محياه إنها أمنيته.

إن التغيير بالأمة لا يطيقه حفظه للقرآن فقط ولكن حفاظ خلفهم القرآن في حركتهم بالأرض.. وواعدنا خيراً وكلنا أمل أن يكمل تلامذته من العلماء أمنيته في استكمال مشروعه لإحياء الأمة

أ. سعاد الجارالله

اللجنة النسائية - جمعية الإصلاح الاجتماعي

الفصل الخامس

- رحلته مع المرض
- نهاية المطاف
- وفاته

خواطري مع المرض

في ليلة من ليالي المرض دعوت ربي أن يفرج عني وأن يرزقني قليلا من النوم، وبينما أنا أدعو أخذتني سنة من النوم، فأتاني أقوام أسمع أصواتهم ولا أراهم بستة متكآت من الإستبرق، وقالوا لي: نَمْ.. وفعلا نمت نحو نصف ساعة، استيقظت بعدها مستريحا كأنما نمتُ أياما، فقلت: هذا عطاء من ربي ببركة الدعاء في جوف الليل.

كثيرا ما كنتُ أنبّهُ الناسَ من خلال الخطب والدروس والمحاضرات والكتابة في الصحف والمجلات ونحوها إلى ضرورة الاهتمام بالوصية وتوثيقها لأن الموت غيب لا يعلمه إلا الله، وقد يأتي بغتة أو يسبقه حدث عارض ثم يعقبه الموت، وبراءة الذمة تقتضي التعجيل، ولا يسمح بالتأخير في أضيق الأحوال لأكثر من ستين ساعة (ليلتين، وثلاثة أنهر) لقوله صلى الله عليه وسلم: "ما حقُّ امرئٍ مسلم له شيء يوصي فيه، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده".

كما كنتُ أحضُّهم على ضرورة الاهتمام بصحتهم، من كان مريضا فليسعَ لعلاج المرض، ومن كان صحيحا فليتابع الفحص الدوري مرة في كل ستة أشهر على الأقل، يحدوني في ذلك

بقلم: الشيخ سيد نوح فور عودته من رحلة العلاج في الصين

قوله صلى الله عليه وسلم: "ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء وقوله: "إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء، فتداووا"، وقوله: "تداووا يا عباد الله فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء إلا داء واحدا: الهرم"، وقوله: "لكل داء دواء، فإذا أصاب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى".

كما يحدوني في ذلك أن الإنسان إذا أهمل صحته حال ذلك بينه وبين الاستمرار في أداء واجبه ورسالته في الأرض، وفي ذلك يقول القائل: وأعطها حقها المشروع ... وبه على المسير، وإن تحسمه ينحسم.

كما كنت أحضهم أيضا على تحقيق التوازن في حياتهم، وذلك بإعطاء كل ذي حق حقه، من الله والنفس والأهل والأضياف ونحو ذلك، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص: "ألم أُخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟" قال: بلى يا رسول الله؟، قال: "فلا تفعل: صم وأفطر، ونم وقم، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينيك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا، وإن بحسبك أن تصوم في كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشرة أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر".

وحيث انتهى المسلمون من قديم إلى أن أفضل العبادة أن تعطي كل وقت ما يناسبه، فإذا دخل العدو أرض المسلمين فأفضل

العبادة جهاد العدو لطرده وحماية العباد وتطهير البلاد من شرّه، وإذا حضر وقت الصلاة والأمة في أمن وأمان فأفضل العبادة الصلاة، وإذا زارك ضيف فأفضل العبادة إكرام هذا الضيف.

وهكذا كنت أنبه الناس وأوصيهم برعاية هذه الأخلاق وتلك الآداب، وأنا غارق في أداء واجب الدعوة، مهملا بدني أيما إهمال، بدعوى أن العمر محدود وأن الأمة بحاجة إلى أقل الجهد حتى تتحرر من سيطرة الأعداء ثقافيا وفكريا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وكنت بذلك كمن يضيء الطريق لغيره ويمشي هو في الظلام.

ناسيا مبدأ مهما في ديننا الحنيف وهو أن العبرة بالأفعال التي لا تتعارض مع الأقوال، قال تعالى: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (البقرة).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (الصف).

وان من ينهج هذا النهج مآله الانقطاع وعدم الاستمرار، وكم نصحني المقربون مني، «تذكر ما تقوله لنا واعلم أن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يعرفه إلا المرضى، وأنك مسئول عن صحتك مسؤولية كبرى أمام الله -عز وجل- يوم القيامة»، وأنا لا أعير كل ذلك أذنا، ولا أعطيه اهتماما.

عدت يوماً من عملي الوظيفي، وتناولت طعام الغذاء، وما انتهيت منه حتى نزل بي من الألم في بطني ما لم أشهد مثله من قبل، وما لا يعلم حقيقته إلا الله- عز وجل- حسبي أنه لم يعد بمقدوري مواصلة التنفس بسهولة، وأن ضغطي قد انخفض إلى درجة الأربعين، وأن نسبة الهيموجلوبن قد انخفضت إلى (٦)، وحُملت إلى دار العلاج، وكان التشخيص «نزيف داخلي، حاد»، وعملت الإسعافات السريعة، وتوقف النزيف، وعدت إلى منزلي، حامداً ربي أن منحني فرصة أخرى أراجع فيها وصيتي، أو أجدد فيها توبتي، وأهتم بصحتي، وأعمل على تحقيق التوازن في حياتي، بيد أن العافية لم تدم أكثر من ليلة، وعاد النزيف، ولكن بصورة أشد، بحيث دخلت غيبوبة تامة توقف معها كل شيء في بدني سوى القلب، والمخ، وعشت على التنفس الصناعي، وقرر الأطباء أن الوضع غاية في الخطورة، وما هي إلا ساعات محدودة وأقضي، واقترح نفر منهم القيام بمحاولة لوقف هذا النزيف، تتمثل في الحقن بعقار «نوفا سفن» وهو غير موجود إلا في المستودعات، وكان الوقت آخر الليل، كما أنه لا يُصرف لنفر من الناس، وقدر الله أن يتدخل وجيه كبير من وجهاء الكويت المرموقين، وأن يوقظ وكيل وزارة الصحة من نومه ليأمر بفتح المستودعات، وتوفير العقار، ويتم الحقن، وكانت المفاجأة

إيقاف هذا النزيف، وأفقت قليلاً، لكن التنفس كان يتم بصعوبة، وتم نقلي إلى دار أخرى للعلاج من أجل حقن مكان النزيف من الكبد بالمنظار، وقام بذلك طبيب تشيكي، وفور الانتهاء من ذلك قال: «قولوا لهذا الرجل أن يصلي لي» يقول ذلك، وهو الشيوعي الملحد، الذي يقول: «الكون مادة ولا إله، والدين أفيون الشعوب، ولا آخرة، وما هي إلا أرحام تدفع، وأرض تبلغ، ما يهلكنا إلا الدهر»..!

وطال بقائي في العناية المركزة لنحو أسبوع، والذي كان يشغل بالي، ماذا أقول لربي غداً، وقد أهملت بدني وصحتي حتى صرت إلى هذا الوضع السيئ المخيف، بل كان يشغلني أكثر الخوف من عقاب ربي لي على ذلك بأن يحرمني النطق بالشهادتين عند الموت، فأخسر الدنيا والآخرة، وكم تضرعت لربي أن يسامحني، وأن يعفو عني وأن يختم لي بالإيمان، وعاهدته سبحانه -إن عافاني هذه المرة- أن تكون عنايتي ببدني وصحتي في أوائل اهتمامي، مع مراعاة الجوانب الأخرى في حياتي، فأحقق بذلك التوازن، والتكامل الذي دعا إليه الشرع الحنيف. وأخذت في التماثل للشفاء شيئاً فشيئاً، وكانت نتيجة الفحوص التي أجريت لي:

أن سبب هذا النزيف تضخم الكبد مع ورم سرطاني فيه يزيد على خمسة سنتيمترات، وأن المخرج حقن الكبد كيمياوياً

وعدت بذاكرتي إلى ما كنت أدعو الناس إليه، وبدأ القلق يظهر في سلوكي، وعلى قسمات وجهي وخلال ذلك ساق الله لي المواساة، كي يبقى باب الأمل مفتوحاً، ويقوى الرجاء في الله عز وجل وكانت المواساة الكبرى أن فتح الله لي ولأهلي معي باب الاشتغال بالطاعات مع الاستغراق والمواظبة، إذ أصبحت أتلو في اليوم الواحد عشرة أجزاء ترتيلاً وعلى مهل، نظراً في المصحف الشريف، وبصوت مسموع، وواظبت على أذكار الصباح والمساء، وحزب الاستغفار والتهليل والثناء على الله عز وجل، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بصورة لم أعهد مثلها في حياتي من قبل، وأكثرت من محاسبة نفسي ، وشفع ذلك بالتوبة، والاستغفار وأذكر أنني لم أضع ليلة بغير قيام ليل إلا ليلة إجراء الجراحة حيث كنت في غيبوبة تحت تأثير التخدير، رغم أنني كنت أصلي ساعتها متيمماً وجالساً، إلا يوم العملية، وعدة أيام بعده كنت أصلي فيها، مستلقياً على ظهري، وأكثرت من الدعاء على كل الأحوال وفي كل الأوقات وسائر الأماكن إلا الأماكن التي يحظر الذكر فيها من بيوت الخلاء ونحوها، وتلى ذلك الرؤى المنامية التي عدها النبي صلى الله عليه وسلم من المبشرات فقال: «ذهبت النبوات وبقيت المبشرات»، قالوا وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة، جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة» (متفق عليه).

من أجل القضاء على الورم، فإن لم يكن فلابد من التداخل الجراحي المتمثل إما في بتر هذا الجزء المتورم، واستبداله بجزء من كبد صحيح لأحد أبنائي، وإما في بتر هذا الكبد تماماً، واستبداله بكبد آخر من نفس الفصيلة، والأمر يقتضي المضي في ذلك بأقصى ما يمكن من السرعة. ومبرر ذلك أن النزيف متوقف، وساكن الآن، لكن يخشى أن يتجدد لسبب أو لآخر، وربما يصعب إيقافه فيكون الندم حيث لا ينفع الندم. المسلم الحق لا يتواني لحظه في طلب السنن على الله أن يهديه إليها

وكانت المعارضة الشديدة مني للتدخل الجراحي بحجة الواقع، فقد شاهدت كثيراً من مرضى الكبد يموتون في لمحة، ويكون التقرير الطبي، أن السبب في سرعة الوفاة بهذه الطريقة، هو عمل بذل في الكبد، الأمر الذي أدى إلى نزيف حاد لم يمكن إيقافه، ولم أكن أصدق تبعاً لذلك أنه يمكن التدخل الجراحي، وعمل زراعة للكبد إما جزئياً، وإما كاملاً. وحاول الأطباء إقناعي بالتقدم العلمي الهائل الذي بلغه الباحثون، والجراحون في أمراض الكبد، ولم أقتنع حتى شاهدت بعيني دكتوراً متخصصاً في أمراض الكلى، ذكر لي أنه عمل زراعة لكبده في فرنسا منذ تسع سنوات، وأنه يعيش بعافية وصحة كما أشاهد وأرى، وحينئذ صدقت،

وأذكر أنه أثناء فترة الانتظار، والتي ضاقت فيها النفس ضيقاً شديداً رأيت في النوم من يقول لي: «لا تعجل، فإنا نعدّ لك كبداً على قدرك»، وأصبحت مستريح النفس منشرح الصدر، وعلمت أن في التأخير مصلحة لا يقدرها إلا رب العزة. وليلة الجراحة ولم نكن نعلم متى موعدها رأيت في النوم فضيلة الشيخ توفيق الواعي الذي مرَّ ذكره آنفاً، يتصل بي ويخبرني أن عنده أصدقاء يريدون زيارتي، فقلت له إن الوقت ليل ولا تصلح الزيارة الآن، فقال سأكفلهم في بيتي حتى الصباح وسنزورك صباحاً في الساعة الثامنة، فقلت له تأخر قليلاً، فقال أقصى تأخير سيكون إلى الساعة التاسعة، واستيقظت لأخبر أهلي ومرافقي أن اليوم ستتم الجراحة، وفعلاً في تمام الساعة التاسعة نودي علينا أن استعدوا فإن الجراحة اليوم، ورأيت أهلي أنها تغسلني بالماء، وتغسل ثيابي من بعض وسخ أصاب أطرافها، فعبَّرت ذلك بأن هذا المرض تكفير لخطاياي تصديقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: «ما من هم ولا غم ولا نصب ولا وصب يصيب المسلم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه...» (الحديث متفق عليه)، واتصل بي إخوة وأخوات من كل بلاد العالم يخبرونني بالنجاح فيما أنا مقدم عليه لرؤى كثيرة رأوها، وهكذا جاءت المواساة من هنا وهناك، مرئية وغير مرئية لتزرع الأمل في الله والرجاء في

رحماته والصبر والتحمل.

وكان يوم إجراء الجراحة يوماً يؤرخ به؛ إذ في صبيحة يوم الإثنين الرابع عشر من شهر شوال ١٤٢٦هـ الموافق الرابع عشر من شهر نوفمبر في تمام الساعة التاسعة صباحاً صدر النداء من إدارة المشفى الذي أرقد فيه؛ أن استعد فالجراحة اليوم بعد ست ساعات ونصف واستحضرت على الفور؛ النداء الثاني على العباد، وهم موتى في قبورهم، حين يأمر الله إسرافيل بالنفخ في الصور، ليقوموا حتى يلاقوا ربهم مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الزمر).

وبادرتُ على الفور بالاستعداد، مقدماً جانب الرحيل عن هذه الدار على جانب البقاء إلى حين، فتطهرت من جديد، وأكملت وردي القرآني، وأعدت النظر في وصيتي لتكون في صورتها النهائية واتصلت بأمي وبإخواني، وأخواتي، وأقاربي أطلب منهم العفو والمسامحة، والصفح عن كل ما بدر مني نحوهم عن قصد أو عن غير قصد، ووعدتهم أن أكتب لهم في وصيتي من المال فداء لنفسي حسبما يقدر كل منهم، وكانوا جميعاً كراماً فسامحوني، وعفوا عني، وبكينا بكاء حاراً وأوصيتهم بالدعاء لي، وودع كل منا الآخر، وأخذت أسترضي

أهلي، وأطلب منهم كذلك العفو والمسامحة والصفح الجميل، وكانوا نعم الأهل كراماً في عشرتهم، كراماً في عفوهم، كراماً في عاطفتهم، وصنعتُ مثل ذلك مع أولادي صغاراً وكباراً، وصنعوا معي كذلك مثل أمهم وأعمامهم وعماتهم، وأخوالهم، وخالاتهم، أما الأصدقاء فحدث عن عاطفتهم ولا حرج، لقد اتصلوا بي ليسامحوني وليشجعوني، واتصل بعضهم ببعض عن طريق الهواتف يتواصون بالضراعة الصادقة إلى الله أن يكلل هذه الجراحة بالتوفيق والنجاح، وودعت الجميع ودخلت غرفة العمليات في الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر اليوم المذكور، وأنا ذاكر لربي، مثن عليه بأعظم الثناء من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، مفوضاً الأمر كله إليه متهماً نفسي بالتقصير، وأكثر ما نشطت فيه ساعتها: "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين". "لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير..". "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها أحيا وعليها أموت وفي سبيلها أجاهد وعليها ألقى الله".

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾(غافر). ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾(آل

عمران). ونشطت في ذلك كثيراً حتى غبت عن وعيي تحت تأثير التخدير ولم أفق إلا في الساعة التاسعة من صبيحة اليوم التالي في غرفة العناية المركزة، في وضع لا أحسد عليه، ممنوع أي حركة سوى التنفس، والكلام، وحتى الكلام لم يعد يُسمع لأن صوتي محتبس، وحمدت الله على كل ما يقضي به، وبعض البلاء أهون من بعض، فبقية حياة مع احتباس صوت أحسن بكثير من شيء آخر، وهكذا قبلت قضاء الله عن رضا وحب وتسليم، إلى أن أخبرني الطبيب المرافق جزاه الله خيراً، أن هذا احتباس مؤقت بسبب ضغط الأنابيب الداخلة في الحلق إلى البطن على الأحبال الصوتية، وبرفع هذه الأنابيب سيعود الصوت من جديد شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى مستواه العادي، وقد كان، وبعد ثلاثة أيام غادرت العناية المركزة إلى فترة العلاج، والنقاهة، وعانيت كثيراً وأتعبت جميع مرافقي وسائر من تعاملوا معي حيث ضيق التنفس، وعدم الراحة لا جالساً ولا مستلقياً ولا واقفاً، واستمر ذلك الحرمان من النوم إلى سبعة عشر يوماً، خفف الله عني بها كثيراً من ذنوبي وستر عظم إجرامي، ورزقني الصبر مع الذكر الكثير ومع مواساة مرافقي لا سيما هذا الطبيب المبارك، وكذلك أهلي جزاها الله خير الجزاء، وولدي البار. وفي ليلة من الليالي يستطيع المشاهد للشعب الصيني بل والمعايش له الخروج بهذا التصور:

شعب متعدد الأعراق، لا يحول هذا التعدد بينه وبين التعايش السلمي غالباً.

شعب عامل بجد ودأب من طلوع الشمس إلى الساعة الثامنة مساء لا يفصل هذه الفترة سوى ساعتين من الثانية عشرة ظهراً إلى الساعة الثانية بعد الظهر لتناول طعام الغذاء.

شعب يعمل كل أبنائه رجالاً ونساء شباباً وشيباً.

شعب عامل منتج في كل مناحي الحياة بحيث برز كقوة عظمى لها وزنها وثقلها في العالم.

شعب يهتم بصحته للغاية وقاية وعلاجاً.

شعب، المسلمون فيه قلة في ظاهر الحال، ولكن بالنظر إلى اتساع المساحة وكثرة البشر تجدهم يشكلون نحو ١٠٪ أي ما يبلغ ١٢٠ مليوناً.

يعاني المسلمون كما سمعنا من أكثر من مسلم تحدثنا معه من محاولة تذويب هويتهم الإسلامية بفرض ثقافات غير ثقافتهم عليهم لا سيما في شؤون الأسرة والحياة الاجتماعية، لكنهم يقاومون بشدة، مع عزة وإباء.

بحاجة إلى معرفة الإسلام في صورته المشرقة الوضاءة البعيدة عن الغلو والشطط والتفريط، والإسراف ليس من خلال الخطب والمواعظ، وإنما من خلال القدوة الحسنة وحسن المعاملة.

وانتهى الشهر الأول من إجراء العملية، ومرت الأحوال بسلام، وأذن لنا بالعودة إلى الكويت. وفي مساء يوم الخميس ١٥ من ذي القعدة ١٤٢٦هـ الموافق ١٥ من ديسمبر ٢٠٠٥م وصلنا إلى الكويت، ولا أدري مقدار السعادة التي انتابتني والفرحة التي غمرتني. وجاء الأولاد والأقارب، وأهل الكويت مواطنين ومقيمين يستقبلونني بحب وود ووفاء، وسجدت لربي شكراً على ما حباني من نعمة، وعافية.

ومنذ أن أفقت من العملية وأنا أشعر أن الله أحياني من بعد العدم، وشفاني من بعد المرض، لمزيد من التبعة، والمسؤولية، وأن عليَّ أن أعدّ نفسي لهذه المرحلة الجديدة، مستعيناً بالله عز وجل وأن أبادر باهتبال أي فرصة تتاح لي، وتوظيف كل طاقة لديَّ حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وخلال فترة المرض هذه غمرني الناس جميعاً في الكويت، وفي خارج الكويت بعواطفهم الجارفة، وحبهم الصادق المتمثل في السؤال والزيارة والدعاء، والرعاية، وحل المشكلات، يحضرني منها حضور أمير من أمراء دولة الإمارات العربية المتحدة إلى الكويت لزيارتي والاطمئنان على صحتي في أيام رمضان، وكذلك زيارة أحد أصدقائي من دولة الإمارات لي مرتين مرة في الكويت ومرة في الصين، وأيضاً زيارة إخوة مسلمين عرب يعيشون في الصين أثناء فترة علاجي هناك

بعد سفرنا بالطيران لأكثر من ساعتين ونصف الساعة. كذلك مرافقة طبيب لي طوال رحلة المرض في مصر، وفي سنغافورة وفي الصين حتى عدتُ إلى الكويت تاركاً أهله وأولاده لقريب من شهرين وقيامه بخدمتي بصورة منقطعة النظير، وأيضاً زيارة راعي الإخوة الأقباط في الكويت لي عدة مرات أثناء فترة العلاج في الكويت. سؤال أخ راتبه ضعيف للغاية عني بالهاتف مرة في كل أسبوع، وأنا في الصين حتى كنت أشفق عليه من كثرة ما يتحمله من تكاليف المكالمات وأوصيته بعدم الاتصال، وكفاه، ولكنه يأبى ويستمر في الاتصال. متابعة طيبة من صديقين لي من الكويت بالاتصال وأنا في الصين ربما في اليوم الواحد عدةمرات لا سيما فترة إجراء الجراحة حتى خفنا عليهما من كثرة الاتصالات. سؤالات الأماجد من أهل الكويت إخوة وأخوات حتى ما كان الهاتف يتوقف لحظة لا بليل ولا بنهار، هذا كله جعلني أخجل من نفسي، أمام نعم الله التي لا حد لها ولا حدود.

أدب المسلم مع الله أنه يرد كل شيء إلى ربه، غير أنه زيادةً في الأدب يراعي المقام ، فينسب الخير إلى الله، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ ۝٧٧ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ ﴾ (الشعراء). ونسب الشر إلى نفسه، فيقول كما قال

الخليل عليه السلام: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ (الشعراء). وأنا أقول: الذي شفاني حقيقة من هذا الداء الذي نزل بي إنما هو الله: الذي يحيي الأرض بعد موتها والعظام وهي رميم، بيد أن الأخذ بالسنن هو الذي أرضى الله، فأفاض علي بالشفاء والعافية. وأول هذه السنن ذكر الله الدائم، بأوسع ما تتضمنه كلمة الذكر على النحو الذي أشرت إليه آنفاً، إن هذا الذكر كان سبباً في ذكر ربي لي ذكراً خاصاً وتفضله عليّ بالشفاء تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (البقرة). وثاني هذه السنن: دعاء الطيبين والصالحين من عباد الله من أعرفهم، ومن لا أعرفهم، إن هذا الدعاء كان له أكبر الأثر في استجابة الله لهم، حيث أمدني بروح من عنده، ومنحني العفو والعافية فكان الشفاء. وثالث هذه السنن: نخبة الأطباء الذين هيأهم الله لي وساقني إليهم، والعود إذ عندما يوضع في تربته ينبت بسرعة، وينمو ثم يورق ويثمر، صحيح أن أرض الصين أرض مجهولة، لكنها آخذة في التكشف شيئاً فشيئاً، وحين يتم تكشفها فإنها تكون قوة يحسب لها العالم ألف حساب وحساب، وإن كنا نخشى عليها وعلى غيرها من القوى التي على شاكلتها أن تنهار بسرعة وتزول، لأنه ليس فيها من القيم العليا، والمبادئ الحقة

ما يحمي تقدمها، وعلوُّها، وعلى الأمة المسلمة صاحبة القيم العليا والمبادئ الحقة أن تقوِّي نفسها، وأن توحد صفها حتى تتسلم قيادة البشرية يوم انهيار هذه القيادات، وإن ذلك لآت قريب إن شاء الله، وما ذلك عليه سبحانه بعزيز، وقاني الله وإياكم مصارع السوء، وطوارق الليل والنهار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نهاية المطاف

قبل عامين ونصف من رحيله ذهب إلى الصين ليركب كبداً غير الكبد، وعاد معافى إلى دروسه ونشاطه الدعوي بالرغم من أن الأطباء كانوا ينصحونه- كما سبقت الإشارة- بعدم بذل مزيد من الجهد، لكنه لم يكن يستجيب لهذه النداءات، وانطلق الشيخ انطلاقه جديدة بالرغم من مرضه وكأنما كان يلاحق القدر، أ، يشعر باقتراب الأجل، فأراد أن يحصل من الأجر والثواب وعمل الخير ما يكون زاداً له يوم القيامة.

وكتب الشيخ خواطره عن المرض دروس وعبر ثم دخل في حالة مرضية غيبوبية مثل الأولى ولقي ربه صابراً محتسباً راضياً مرضياً فجر يوم الاثنين ٣٠ يوليو ٢٠٠٧م، ١٦ رجب ١٤٢٨هـ بعد رحلة طويلة مع المرض الذي شاء الله أن يكون له ممحصاً، ورافعاً للدرجات إن شاء الله.

كانت جنازته مهيبة؛ تُذكر- في ضخامة عددها- الإنسان بجنازات الزعماء والقادة والرؤساء، ولم لا، وصاحبها من كبار الدعاة إلى الله، ومن أبرز العلماء الربانيين في الدعوة الإسلامية في هذا الزمان؟!.

كانت هناك موانع كثيرة تمنع الناس من أن تشارك في الجنازة؛ منها: الحر الشديد، والرطوبة العالية، وحرارة الشمس

اللافحة التي ربما تجاوزت خمساً وخمسين درجة في هذا اليوم، وهي كفيلة بأن تجعل الناس يترددون في الذهاب إلى الجنازة.

ومنها أننا كنا في فصل الصيف، بل في كبد الصيف وكثير من الوافدين عادوا إلى بلادهم ليقضوا إجازتهم السنوية، ومنها بُعد المكان في هذا الحر؛ فقد دفن الشيخ بمكان يسمى «الصليبخات»، وهي مكان يبعد عن مدينة الكويت بحوالي ٤٠ كيلوا متراً في هذا الجو الخانق.

ومع ذلك تجمعت السيارات من كل حدب وصوب نحو مكان المصلى والدفن؛ يحدوهم حب الشيخ الذي تمكن من قلوبهم، وعيونهم ملأى بالدموع حزناً على رحيله، لاسيما عند صلاة الجنازة، وليس بمستغرب أن تجتمع له هذه الألوف المؤلفة من البشر لتصلي عليه، وهو الذي كان يصلي أسبوعياً صلاة الغائب يوم الجمعة في مسجد الوزان على من يبلغه خبر وفاته، ومن يموت من المسلمين في كل أسبوع.

وكما هو معروف أن بلاد الخليج فيها من كل الجنسيات، ومع ذلك لم يقتصر الحضور على المصريين فقط، بل كان فيها معظم الجنسيات الموجودة بالكويت، كما تجمع فيها كثير من التيارات الفكرية من سلفية، وإخوانية، وغيرها.

وإن دل ذلك فإنما يدل على أن الشيخ كان رجلاً ربانياً، وداعية

إيمانياً، وعالماً عاش هموم أمته وهموم مجتمعه بعيداً عن الانغلاق والتعصب، وهذه الألوف المؤلفة شاهده على أنها عاجل بشرى الشيخ إن شاء الله، وعلى أنه القبول في الدنيا قبل الآخرة.

رحمه الله ورفع درجاته في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

لأنك ترى في صلاته معاني الخضوع والتذلل لله تعالى، تتجلى في صورة بهية تجعل المشاهد له يشعر بارتقاء إيماني يسمو بروحه... لذلك فقد كنت حريصاً على مراقبته أثناء صلاته من طرف خفي.

أرجو من الله أن يتقبل شيخنا في الصالحين من عباده، ويجزيه عن الإسلام والمسلمين خيراً، وألا يحرمنا أجره، ولا يفتنا بعده، وأن يدخله فسيح جناته.

خاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، من فضل الله عز وجل على هذه الأمة أنه حفظ لها دينها ممثلاً في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وكان من تدبير الله عز وجل ليتم هذا الحفظ أن هيأ لهذا الدين رجالاً عظاماً، وحماة أبراراً، ولم يكن في الأمم السابقة مثلهم ومن هؤلاء فضيلة الشيخ الداعية الرباني الدكتور سيد نوح رحمه الله تعالى.

فقد مر ثلاثة أعوام على وفاته دون أن تدرس حياته في كتيب مستقل نوضح فيه بعض خصائصه ومناقبه. وما فكرت يوماً أن أكتب عن الشيخ رحمه الله، لولا أني وجدت بعض الأخوة يلحون علي معرفة جزءاً من سيرته، وبعد أن وجدت بين يدي بعض الأوراق والمعلومات الوفيرة عن حياته، قمت بترتيبها بعد أن أضفت عليها بعض الروايات من العلماء والدعاة والمفكرين، ولم يفتني أن أكتب عن نضال الشيخ رحمه الله تعالى في الدعوة إلى الله.

إن حياة الشيخ صورة صادقة لحياة الداعية الرباني في

حقل الدعوة وأسأل الله عز وجل أن يبصرنا بالحقيقة ليعرف كل منا مكانته وحقيقته في هذه الحياة فيضع لنفسه موضعها الحقيقي ويؤدي عمله الذي خلقه الله من أجله.

وصلى الله على سيدنا محمد

كتبه

أبو حمزه الحسين موسى قاسم

في ٤ من محرم ١٤٢٠

١ من يناير ٢٠٠٩

الفصل السادس

■ صور من حياة الشيخ

الشيخ يتوسط الفلاح والحساوي في تابين الشيخ البهنساوي

الشيخ في المرحلة الثانوية

الشيخ في منتصف التسعينيات

الشيخ يكرم أحد حفظة القرآن في لجنة زكاة العثمان

الشيخ يتوسط بعض الحجاج في مطار جدة عام ٢٠٠٣م

الشيخ يتحدث مع حاكم رأس الخيمة الشيخ صقر القاسمي في الثمانيات

الشيخ يلقي محاضرة في إحدى الديوانيات

الشيخ يكتب خواطر المرض

الشيخ في إحدى الدورات في لبنان

الشيخ يلقي محاضرة مع نائب مجلس الشعب المصري محسن راضي

الشيخ يلقي المحاضرة الإسبوعية بمسجد العثمان

الشيخ يمزح مع رفيق دربه الشيخ يحي اسماعيل في إحدي المناسبات بالكويت

الشيخ يتوسط طلبة البعوث في حفل زفاف نجله الكبير أحمد العام ٢٠٠١ م

الشيخ يتوسط نجليه عبادة وعمير في حفل زفاف عبادة عام ٢٠٠٦ م

الشيخ يتوسط د. ابوالبزيد العجمي وابن أخته في حفل كتابة عقد ابن أخته

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٣
هذا الرجل	١٥
الفصل الأول:	١٧
مولده ونشأته	١٨
صفاته الإنسانية	٢١
صفاته العلمية	٢٦
آثاره العلمية	٢٩
جهودة الدعوية	٣٤
القضية الفلسطينية	٣٦
الفصل الثاني:	٣٧
ورعه وزهده	٣٨
دعوته ونشر ه للعلم	٣٩
جهوده في في خدمة الحديث	٤١
الفصل الثالث:	٥٥
ثناء العلماء والدعاة	٥٦
الفصل الرابع:	١٠٩
قالوا عنه	١١٠
من أقوال تلاميذه	١٣٧
الفصل الخامس:	١٥٥
رحلته مع المرض	١٥٦
نهاية المطاف	١٧٢
الخاتمة	١٧٥
الفصل السادس:	١٧٧
صور من حياته	١٧٨

هـــذا الإصـــدار

إنّ في حياة الأمم والشعوب ، رجالاً عُظماء ، ودُعاةً ربانيين قلّ مثيلهم ، حملوا مشاعل الهداية ، واعتلوا منابر الإصلاح ، وعند رحيلهم خلدتهم أعمالهم ، ولـم تطـوهم صفحـات الموت في ذاكرة النسيان ، ومن أولئك الأعلام

فضيلة الشيخ الدكتور / السيد محمد نوح الذي أفنى حياته فارساً على منابر الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، متكفلاً رسالتها بجد وتفاني ، واعترافاً من إدارة الثقافة الإسلامية بمسيرة عطائه ، يسرها أن تهدي المكتبة الثقافية هذا العمل " قصة داعية "، والذي سطّرت صفحاته مآثر الفقيد في رحلته العامرة ، سائلين المولى عزوجل أن يتغمد الشيخ برحمته ، وأن يرزق الأمة من يجدد شبابها .

الفتوى الهاتفية 149

غايتنا
صناعة المناخ الثقافي الإسلامي
99255322 - 22487310
www.islam.gov.kw/thaqafa